دير مار ميخائيل نهر- بسكنتا
نشرة رقم ٢٣
عدد خاص

الأب برفيريوس الرائي
مقالات روحية

الفهرس

مقدّمة

شعورٌ داخلي دفعني إلى ترجمة بعض الفصول من كتاب "حياة وأقوال للأب برفيريوس"، من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، على أمل أن أتابع ترجمة كل ما تبقى بعون الله ونعمة الروح القدس.

وهذا الشعور اختلج في قلبي لغاياتٍ عديدة أهمّها:
إفادة المؤمن ممّا عايشه الكاتب مع المسيح ونقل هذه الاختبارات لنا علّنا نقتدي به لنحيا نحن بدورنا مع الكلمة المتجسّد لشفاءِ نفوسنا والتي لا خلاصَ لها بدونه (أي يسوع المسيح فادينا).

أشكر جميع من أعطاني القوّة والدّعم للقيام بهذا العمل وأخُصّ بالذّكر:
- الأب افرام كرياكوس الذي بارك هذا العمل وصلّى لي دائماً لأُوَفّق به، وأنجح بإيصال مضمون الكتاب إلى قلوب المؤمنين.
- الأستاذ جوزيف أبي فرحات الذي ساهم مساهمة فعّالة لإنجاز هذا العمل، الذي اعتبره إنجازاً واكَبتْه النعمة الإلهية، ودائماً ما كنت أشعر بأنّ حضور الأب البار كان صلة وصْلٍ بيني وبينه.
- وأشكر زوجي وأولادي الذين ضحّوا معي وفسحوا لي المجال للقيام بهذا العمل المضني والمفرح في آنٍ والذي كنت أكرّس له الوقت الطويل بعد عناءِ التّعب الذي كنت ألاقيه في وظيفتي اليومية.

وأخيرا ً أسأل الرب يسوع المسيح أن يمنحني النعمة الكبرى لأتمّم ما بدأت به لما فيه خير ونفع المؤمنين وأن يثبّتني في الإيمان لأكون عاملة في حقلهِ وغصناً يانعاً في كرمته .كما وأطلب صلوات المؤمنين لأتابع ما أقوم به .والله وليّ التوفيق .

مينرفا معلوف

حول تنشئة الأولاد

"يوجد لحالة الإنسان الروحيّة قسمٌ كبيرٌ من المسؤوليّة "

✞ تبدأ تنشئة الأولاد من لحظة تكوينهم

تبدأ تنشئة الأولاد من لحظة تكوينهم، فالجنين يسمع ويشعر وهو في أحشاء أمّه، أجل، إنّه يسمع ويرى بعينيّ الأم. يُدرك تحرّكاتها ومشاعرها، رغم أنّ فكره لم يكن قد نما.

يشحب وجه الأم، وكذلك وجه الجنين. تغضب الأم ويغضب الجنين. تشعر الأم بالحزن، بالألم، بالخوف، بالقلق ..... فيتأثّر الجنين بكلّ هذا. إذا رفضت الأم جنينها، إذا كرهته، يشعر الجنين بهذه الأحاسيس، فتتكوّن في نفسه الصغيرة جروحات ترافقه مدى عمره كلّه.
ويحصل عكس ذلك مع مشاعر الأم المقدَّسة. وعندما يكون في قلبها الفرح والسلام، والمحبّة للجنين، تُنقَل هذه الفضائل سرّاً إلى مَن تحمل في أحشائها كما يحصل مع الأطفال المولودين .لهذا يجب على الأم أن تصلّي كثيراً خلال فترة الحمل وأن تحبّ الجنين وتداعب بطنها وأن تقرأ المزامير، وترنّم (الطروباريّات) التراتيل وتعيش حياةً مقدَّسة. وهذه الممارسة تعود بالنفع لها، بل وتضحياتها من أجل جنينها، لكي يصبح الولد كذلك أكثر قداسة، ويمتلك من البداية إيداعات مقدَّسة.

أرأيتم كم هو دقيق أن تحمل المرأة ابناً ؟
كم هي المسؤوليّة كبيرة وكم هو الشرف عظيم**!**
سأقول لكم شيئاً له علاقة بما سبق، وعن كائنات حيّة غير عاقلة وستفهمون منه القليل.

في أميركا يختبرون ما يلي:
في قاعتَين متشابهتَين، درجات حرارتهما واحدة وريّهما واحد وكذلك تربتهما، يزرعون في القاعتين أزهاراً .فنلاحظ فرقاً واحداً وهو :في إحدى القاعتَين، يضعون الموسيقى الناعمة والفرحة.
النتيجة؟ ماذا أقول لكم؟ **!**أزهار هذه الغرفة تُظهر فرقاً شاسعاً بالنسبة إلى الثانية .ففيها حيويّة مميَّزة، لونها أكثر جمالاً ونموُّها أكبر لا يُقارَن.

✞ حياة الوالدَين داخل البيت وحدها تحمي وتُنشئ أولاداً صالحين

حياة الوالدَين داخل البيت وحدها تحمي وتُنشئ أولاداً صالحين. يجب على الوالدِين أن يُعطوا أنفسهم لمحبّة الله. يجب أن يَصيروا بوداعتهم، بصبرهم، بمحبّتهم لبعضهم، قدّيسين بالقرب من أولادهم.

أن يضعوا كلّ يوم خطّاً جديداً وشوقاً جديداً، وغيرةً ومحبّةً للأولاد. والفرح الذي سيغمرهم والقداسة التي ستكون قد زارتهم، سوف تُطلِق النعمة للأولاد، وسوء تصرُّف الأولاد ينتج عن خطأ الأهل بشكل عام. لا النّصائح ولا النّظام ولا القساوة تخلّص الأولاد. إن لم يتقدَّس الوالدِين، إن لم يجاهدوا، يرتكبوا أخطاءً كبيرةً وينقلوا الشرّ الذي في داخلهم. إن لم يعِش الوالدون حياةً مقدَّسة، إن لم يتكلَّموا

بمحبّة، يُعذّبهم الشيطان بردّة فعل الأولاد. المحبّة، وحدةُ الحال، وتفاهم الوالدَيْن الجيّد كلُّها واجبة ولازمة للأولاد، وهي تُعطيهم أماناً كبيراً وثباتاً.

سلوك الأولاد له علاقة مباشرة بحالة الأهل. عندما ينجرح الأولاد من سوء تصرُّف فيما بين الوالدَيْن، يفقدون قواهم وشوقهم وتأهُّبهم للسير إلى الأمام ويُفسدون بناءَ أنفسهم ويُهدِّدون هذا البناء لحظة بلحظة للخطر حتى الهدم. أسوق لكم مثلَين:
جاء إليّ مرّة شابّتان، واحدة كانت مسالكها قبيحةً جدّاً، تسألانني عن سبب تلك المسالك. قلتُ لهما:
- من المنزل، من والديكما.
- وفيما كنت "أتبصَّر أعماق" واحدة منهما، قلت:
- أنتِ قد ورثتِ من والدتك هذا كلّه.
- قالت، ولكنّ أهلي هم أناس كاملون .هم مسيحيّون، يعترفون ويتناولون القربان المقدَّس، ويُمكن أن يُقال: نحن نمارس ديانتنا ونعيشها. إلاّ ....إذا كانت الديانة تُخطئ، أجابت تلك.
- قلتُ لهما:
-لا أُصدّق شيئاً ممّا تقولانه لي .أنا أرى شيئاً واحداً فقط :لا يعيش أهلكما فرحَ المسيح .
بناءً على هذا قالت الأخرى :
- إسمعي ماريّا، حسناً يقول الأب، إنّه على حقّ .نعم.....أهلُنا يذهبون لعند الأب الروحيّ، للإعتراف، للمناولة الإلهيّة، ولكن لم يكُن سلامٌ أبداً في المنزل !كان والدنا يتأفّف بصورة متواصلة من والدتنا .وكانا يتذمّران باستمرار، مرّة لم يكن يأكل الواحد مع الآخر ومرّة أخرى لم يكن يريد الآخر مرافقة الأوّل .إنّ الأب على حقّ .
- ما اسم والدك ؟ سألتها.
- قالت لي الاسمَ.
- ما اسم والدتك ؟
- قالت لي أيضاً.
- "إيه"، قلتُ، يبدو أنّ داخلكِ ليس على ما يُرام مع والدتكِ.

إسمعوا لي الآن :اللحظة التي فيها كانا يقولان لي الإسم، كنتُ أرى "الأب"، كنتُ أرى نفسه. ولحظة قولهما لي إسم "الأم"، كنتُ أرى الأخيرة وكنت أرى كيف كانت الإبنة تنظر إلى والدتها.

مرّةً أخرى أتت أمٌّ مع إحدى بناتها وزارانني .كانت منزعجة وكانت تجهش بالبكاء وكانت تشعر بحزنٍ، وبؤسٍ عميق.
- سألتها، ما بكِ؟
- إنّي يائسة مع ابنتي الكبيرة، التي طردت زوجها من البيت وكانت تضلّلنا قائلةً أكاذيب كثيرة .
- قلتُ، أيّة أكاذيب؟
- طردت زوجها من البيت منذ زمن ولم تخبرنا شيئاً عن ذلك .كنّا نسألها بواسطة الهاتف "كيف حال ستيليوس؟"، كانت تجيبنا، "بخير، ذهب الآن لشراء الجريدة." وكانت تختلق كلّ مرّة عذراً لكي لا نشكّ بشيء. هذا دام سنَتين وكانت تُخفي طردَه عنّا ومنذ أيّامٍ قليلة عرفنا بطرده منه شخصيّاً، إذ رأيناه صدفة.

حسناً، قلتُ لها :
- أنتِ وزوجكِ مخطئان وخطيئتك أنتِ هي الأكبر.

- أنا! أنا التي كنتُ أُحبّ أولادي كثيراً وكنتُ لا أخرج من المطبخ، لم يكن عندي حياةٌ شخصيّة، كنتُ أقودهم إلى الله وإلى الكنيسة، كنتُ أنصحهم للخير. كيف أكون أنا المخطئة؟
توجّهت للإبنة الأخرى، التي كانت حاضرة:
- أنتِ، ماذا تقولين؟
- نعم، يا أمّي، إنّ الأب الشيخ على حقّ، لم نأكل أبداً أبداً خبزاً حُلواً مدى العمر بسبب المناكفات التي كنتِ ترتكبينها مع والدي.
-أرأيتِ أنّني على حقّ؟ أنتما تخطئان، أنتما تجرحان الأولاد. لم يُخطئ أولادكما، لكنّهم يُعانون من العواقب.

تولّدُ بسبب الأهل حالة في نفس الأولاد، حالةٌ تترك آثاراً في داخلهم طيلة حياتهم، وتصرّفهم بالتّالي في حياتهم وعلاقتهم مع الآخرين تتعلّق مباشرة بمسالك الحياة التي اكتسبوها من سنيّ طفولتهم. يكبرون، يتعلّمون، ولكن في العمق لا يتبدّلون.

هذا يظهر وفي أدقّ ظواهر الحياة. مثلاً: تقعُ في نَهَم. تطلب الطّعام وتأخذه، تأكل، ترى قوتاً آخر، ترغب به وتبتغيه. وتشعر من جديد بالجوع. فإذا ما أكلتَ، يُمسككَ لعيانٌ وارتعاش. تخاف من أن تضعف وهذه الحالة نفسيّة لها تفسيرها. من الممكن القول إنّكَ لم تعرفْ أباً ولا أمّاً، أن تكون سفليّاً وجائعاً، فقيراً وضعيفاً، وهذا حدثٌ روحيٌّ، ينعكس ضعفاً في الجسد.

يوجد لحالة الإنسان الروحيّة قسمٌ كبيرٌ من المسؤوليّة. لا تكفي النّصائح والضغوطات ولا المنطق والتّهديدات لتحرير الأولاد من مختلف المشاكل الداخليّة، وعلى الأرجح، تسوء حالتهم. يصير الاصلاح بتقديس الأهل وتطهيرهم.

صيروا قدّيسين ولن يكون عندكم أيّة مشكلةٍ مع أولادكم. قداسة الأهل تحرِّر الأولاد من المشاكل. يريد الأولاد أُناساً قدّيسين بقربهم، مع محبّة كبيرة، أُناساً لن يخيفوهم ولا يكتفوا بإرشادهم بل سيعطونهم صلاةً ويكونون لهم قدوةً مقدَّسة.

صلّوا، أنتم الأهل، صلّوا بصمتٍ وأياديكم مرفوعة نحو المسيح، معانقين أولادكم سرّاً. وعندما يُحدثون فوضى، خذوا بعض التدابير التربويّة، لكن دون أن تضغطوا عليهم وبالأخصّ صلّوا.

مرّاتٍ كثيرة، ، يجرِّحُ الأهل (وخصوصاً الأمّ) الولدَ لفوضى ارتكبها، ويؤنّبونه بشدّة .عندها ينجرح هذا الولد. يفهم الولد ويلاحظ من خلال انفعالك الداخليّ أو من خلال نظرتك الوحشيّة له أنّك تؤنّبه وتغضب وإن لم يكن هذا التأنيب ظاهريّاً. عندها يعتقد الولد أنّ الأمّ لا تحبّه. يسأل الأمّ :
- أتحبّينني، يا أمّي؟
- أجل، يا ولدي، أحبّكَ.
لكنّه لا يقتنع. إنّه قد جُرِح. تحبّه أمّه، ستدلله فيما بعد، لكن الولد يدير رأسه عن دلال أمّه. لا يتقبّل الغنج، يظنّ هذا خبثاً ورياءً لأنّه قد جُرِح.

✞ الإفراط في الرعاية يترك الأولاد غير ناضجين

شيء آخر يؤذي الأولاد، هو إفراط الأهل في الرعاية، أي الإفراط في العناية والمبالغة في شغل البال والقلق .اسمعوا هذا الحدث:

أمّ كانت تشكو لي أنّ ابنها البالغ من العمر خمس سنوات، كان لا يُطيعُها.

كنتُ أقول لها "أنتِ تُخطئين" لم تفهم قَوْلي. وفي مرّةٍ من المرّات ذهبنا بسيّارة تلك الأم مشواراً إلى شاطئ البحر وكان ابنها معنا وهناك أفلتَ الصغير من يدها وركض نحو البحر. وعلى الشاطئ

تجمّعت كومة رمل، انبسط البحر فجأة من خلفها. قلقت الأم وكادت أن تصرخ، أن تركض لأنّها شاهدت الصغير على كومة الرمل ويداه ممدودتان ليتوازن. هدّأتُ أنا من روعها، حينها أدارت ظهرها نحو الإبن وكنتُ أراقبها بطرف العين .عندما قطع الولد الأمل من إثارة أمّه ودفعِها إلى الصراخ كالعادة، نزل هادئاً شيئاً فشيئاً واقترب منّا.
وهذا ما حدث! عندها تلقّنتِ الأمّ درساً في التربية الصحيحة.

أمّ أخرى كانت تشكو أنّ ابنها الوحيد لم يكن يأكل أصناف الأطعمة كلّها وخصوصاً اللبن. وكان هذا الصغير في الثالثة من عمره على وجه التقريب وكان يعذّب أمّه كلّ يوم. قلتُ لها:
"ستفعلين ما يلي: ستفرغين الثلاّجة من كلّ الأطعمة وتضعين مكانها كميّة معيّنة من اللبن وستعانون أنتم الأهل والأولاد لبضعة أيّام. أتى وقت الطعام؟، ستعطين بطرسَ لبناً. سوف لن يأكله. عند المساء قدّمي له الطعامَ نفسه. في اليوم التّالي الشيءَ نفسه. إيه، سيجوع فيما بعد، سيختبر شيئاً. سيبكي، سيصرخ. ستتحمّلون ذلك وسيأكل اللبن فيما بعد بطيبة خاطر".
هكذا حصل وأصبح اللبن الطعام المفضَّل لبطرس.

هذا كلّه ليس بصعب. ولكن أمّهات كثيرات لا يتبعنَه فيُقلِّقنَّ أولادهنَّ تربية سلبيّة جدّاً. أمّهات يلاحقنَ أولادهنَّ دائماً ويضغطنَ عليهم، أي يُفرطْنَ بالعناية بهم، فَشِلْنَ في عملهنَّ. في حين أنّه يجب عليك أن تترك الولد يهتمّ وحده لتقدُّمه، عندها ستنجح. عندما تلاحق أولادكَ باستمرار، تنطلق منهم ردّة فعل، فيتكاسلون ويضعفون وغالباً يفشلون في حياتهم.
هذا النوع من الإفراط في الحماية، يترك الأولاد غير ناضجين .

قبل بضعة أيّام، أتت أمّ يائسة لفشل ابنها المتكرِّر في امتحانات الدخول للجامعة. تلميذ ممتاز في الابتدائي، ممتاز في التكميلي، ممتاز في الثانوي. بعدها كان فشل الولد، كان الإهمال، كانت ردّات فعلٍ غريبة.
"أنتِ تُخطئين"، قلتُ للأمّ، وأنتِ متعلّمة! ماذا كان سيفعل الولد؟ كلّ السنوات ضغط، ضغط، ضغط، "لِتكنْ الأوّل، لا تُخَجِّلنا، عليكَ أن تصير عظيماً في المجتمع ."......
"تراجع فجأةً، والآن لم يعد يريد شيئاً. عليكِ أن توقفي هذا الضغط والإفراط في الحماية وعندها ستـرَيْن كيف يعود الولد إلى توازنه. سوف يتقدَّم حين تتركينه حرّاً".

✞ يريد الولد بقربه أناساً صلاتهم حارّة

يريد الولد بقربه أناساً صلاتهم حارّة. لا أن تكتفي الأمّ بالملاطفة الحسّيّة لولدها، بل وأن تقدّم في الوقت نفسه دفء الصّلاة. يشعر الولد في عمق نفسه بالدفء الروحيّ الذي تبعثه أمّه سريّاً له، فينجذب نحوها. يشعر بأمان واستقرار، عندما تغمره الأمّ سرّاً بالصّلاة الدائمة، الحارّة، والمصرّة، وتحرّره ممّا يُضيِّق عليه. تعرف الأمّهات القلقَ، والنُصْح والكثير من الكلام ولكن لم يتعلّمنَ الصّلاة. النّصائح والإرشادات العديدة تُسيء كثيراً.
لا للكلام الكثير للأولاد. الكلام يقرع الأذنَين، أمّا الصـّلاة فتذهب إلى القلب. يُحتاج إلى صلاةٍ مع إيمانٍ وإلى مثالٍ صالح ولكن دون قلق.

وفي يومٍ من الأيّام أتتنا إلى الدير أمٌّ يائسة من وضع ابنها يورغو. كان مضطرباً جدّاً، يعود متأخّراً ليلاً بصحبة زمرةٍ سيّئة الأخلاق، وكانت حالته تسوء يوماً بعد يوم،وكانت الأمّ تضطرب وتبكي . قلتُ لها :

" لا تقولي أنتِ أيَّ شيء، بل صلّي فقط".

أقمنا ساعة صلاة مشتركة عند الساعة العاشرة والعاشرة والربع، قلتُ لها أن تصمت وأن لا تسأل ابنها متى يخرج من البيت ولا متى يعود إليه .... بل أن تقول له بمحبّةٍ كبيرة: "كلْ، يا يورغو، في الثلاّجةِ طعامك." وأن لا تقول له غير ذلك. بصورة عامّة أن تعامله بمحبّة دون أن تترك الصّلاة. بدأت الأمّ بتطبيق ذلك، وما إن مرَّ عشرون يوماً حتى قال لها ابنها:

- أمّي، لماذا لا تكلّمينني ؟
- يورغو حبيبي، أنا لا أكلّمك؟
- أمّي، تُضمرين شيئاً نحوي لذا لا تكلّمينني.
- ما تقوله لي أمرٌ غريب، يا يورغو. كيف لا أكلّمك؟ ألا أكلّمكَ الآن؟ ماذا تريد أن أقول لك؟

أمّا يورغو فلم يُجبها. وبعد هذا أتت الأمّ إلى الدَير وقالت لي :

- يروندا، ماذا يعني هذا الذي قاله لي ابني؟
- لقد نجحت خطّتُنا!
- أيّة خطّةٍ؟
- إنّي قلتُ لكِ أن لا تتكلّمي معه، أن تصلّي فقط في السرّ وسوف يعود الولد إلى رشده.
- أتعتقد أنّ هذا هو الحلّ؟
- هذا وحده هو الحلّ، قلت لها. يريد الأهمّيّة، يريد أن تعطيه الملاحظة "أين كنتَ؟ ماذا فعلتَ؟." أمّا هو فيصرخ ويُقاوِم ويعود أكثر تأخُّراً في الليل.
- واعجباه! كم من الأسرار المخفيّة!!
- أفهمتِ ذلك، والحالةُ نِصب عينَيكِ؟ أراد بمشاجرتكِ له، أن يقوم بما يحلو له. وعدم هذه المشاجرة يُزعجه. وبدل انزعاجكِ أنتِ من سوء تصرّفه ينزعج هو الآن بلا مبالاتكِ واهتمامكِ.

وفي يومٍ أعلمَ يورغو أهله في البيت أنّه سيترك عمله ليذهب إلى كندا. لقد قال لربّ عمله :

- "أنا تاركٌ العمل، جِدْ آخر بديلاً عنّي."

أمّا أنا، فقلتُ للأهل خلال هذه الأثناء:

- نحن، علينا بالصّلاة.
- ها هو حاضرٌ للسفر ..... سأُنزِلُ به إلى الهاوية! قال الأب.
- كلاّ، لا تزعجه، قلتُ له.
- لكنّ الولد اتّخذ قراره بالرحيل، يروندا!
- لِيَرحلْ .أعطوا ذواتكم للصّلاة وأنا معكم.

بعد يومَين أو ثلاثة أيّام كان الأحد. باكراً جدّاً، قال لهم يورغو:

- أنا راحلٌ، سأذهب مع أصحابي.
- حسناً، مثلما تريد، قالوا له.

ذهب، آخذاً أصحابه برفقة فتاتَين وشابَّيْن، واستأجروا سيّارة واتّجهوا بها إلى منطقة خلكيذا. ذهبوا إلى هنا وهنالك، بعدها راحوا إلى دَير القدّيس يوحنّا الروسيّ ومنه أكملوا طريقهم إلى مناطق ماندوذي والقدّيسة حنّة، حتى وصلوا إلى فاسيليكا. ذهبوا ومارسوا السباحة في البحر الإيجي. أكلوا، شربوا، لَهَوْا.

وبعدها أخذوا طريق العودة وكادَ الليل يُرخي عتمته. كان يورغو يقود السيّارة. وفي منطقة القدّيسة حنّة، اصطدم بحائط منزل. فتشوّهت السيّارة. ما العمل الآن؟ ساروا بالسيّارة روَيداً وأتوا بها إلى أثينا.

وصل إلى البيت قبل بزوغ الفجر. لم يقُلْ له أهله شيئاً. أمّا هو فارتمى على سريره ونام. وعندما استيقظ من نومه قال لوالده:
- يا أبي، حصل ما حصل ..... يجب الآن إصلاح السيّارة والكلفة كبيرة. قال له:
- أنتَ تعلم يا ولدي أنّني مديونٌ، وأخواتِكَ ما زلنَ على عاتقي ..... ماذا سيحِلُّ بنا؟
- ماذا أفعل أنا، يا أبي؟
- إفعل ما تريد. أنتَ بالغٌ وعاقلٌ. إرحَلْ إلى كندا لِتحصل على المال، إلخ ...
- لا أستطيع، قال له. يجب الآن إصلاح السيّارة.
- لا أدري، قال له، رتّب أنتَ أمورك.

إستغرب الولد قوْل أبيه ورَحَل.....
ذهب، فوجد ربَّ عملِه وقال له:
- يا سيّدي، حصل ما حصل معي .لن أترك عملي، فلا تتعاقد مع غيري.
- حسناً، حسناً، يا بنيّ !!
- ولكنّني أُريد مالاً.
- نعم، ولكنّكَ تريد الرحيل. وتوقيع والدِك واجبٌ.
- أنا سأوقّع لكَ. والدي لا يتدخّل. هذا ما قاله لي. سأعمل أنا وسأفيكَ مالكَ. أليس ما حصل أعجوبة من الله؟ وعندما عادت الأمّ مجدَّداً قلتُ لها :
- نجحت الطريقة التي اتّبعناها وصلاتنا سُمِعت من الله. والحادث كان من الله وسيبقى الولد في البيت وسوف يعود إلى رشده. هكذا حصل من خلال صلاتنا.
حصلت أعجوبة. صامَ الأهل وأقاموا الصّلاة والصّمت ونجحوا. ثمّ بعد فترة قصيرة أتاني الولد دون أن يوجّهه أحدٌ من أهله. أصبح يورغو عنصراً جيّداً وهو يعمل الآن في شركة طيران وأسّس عائلةً صالحةً.

✞ صلاة كثيرة وكلمات قليلة للأولاد

كلّ شيءٍ يأتي من الصّلاة، من الصّمت ومن المحبّة .أفهمتم نتائج الصّلاة ؟ محبَّة في الصّلاة، محبّةٌ في المسيح .هذه هي التي تفيد بالفعل .بقدر ما تحبّون الأولاد محبّةً إنسانيّةً –محبّة تكون غالباً عاطفيّة ومن الأهواء أي- "pathologique" بالقدْر نفسه سيتلبَّكون ويكون تصرّفهم سلبيّاً. لكن، عندما تكون المحبّة فيما بينكما ونحو أولادكم مسيحيّةً ومقدَّسةً، عندها لن يكون عندكم أيّة مشكلة. قداسة الأهل تخلّص الأولاد.
حتى يتحقّق هذا الأمر، يجب أن تؤثّر النعمة الإلهيّة على نفوس الأهل .لا أحد يتقدَّس وحده .النعمة الإلهيّة نفسها ستُنير، ستولّد الحرارة والنشاط في نفوس الأولاد .
مرّات كثيرة يتّصلون بي هاتفيّاً ومن الخارج ويسألونني عن أولادهم وعن مواضيع أُخرى .
إتّصلت بي اليوم من ميلانو أمٌ وسألتني كيف تتصرَّف مع أولادها؟ فقلتُ لها ما يلي :
"عليكِ أن تصلّي وعند الضّرورة أن تتكلّمي مع الأولاد بمحبّة. عليكِ، زيادةً، أن تُصلّي، مع كلامٍ قليلٍ يُوَجَّه إليهم. صلاة كثيرة وكلام قليل مع الجميع. علينا أن لا نصبح مزعجين، بل أن نصلّي سرّاً وبعدها نتكلّم مع الآخر والله سيؤكّد لنا في داخلنا إذا كان كلامنا مقبولاً لدى الآخرين. إن لم يكن هكذا فلن نتكلّم. سوف نصلّي فقط سرّاً. لأنّه إن تكلّمنا نصبح مزعجين ونسبِّب ردّةَ فعلٍ للآخرين وفي بعض

الأحيان نثير غضبهم، لهذا من الأفضل أن يتكلّم الإنسان سرّاً في قلوب الآخرين عن طريق الصّلاة السرّيّة من أن يتكلّم في الأذن".

إسمعي ما أقوله لكِ: "عليكِ أن تصلّي أوّلاً وبعدها أن تتكلّمي هكذا إفعلي مع أولادك. إن كنتِ تعطيهم النصّائح باستمرار، ستكونين ثقيلة الظلّ عليهم، وعندما سيكبرون، سيشعرون بنوع من الضغط. عليكِ إذاً أن تفضّلي الصّلاة. أن تكلميهم بالصّلاة. وكلّ ما تريدين قوله لهم قوليه لله، والله سوف يتكلّم في داخلهم. هذا يعني أنّه يجب ألاّ تنصحي أولادكِ بالصّوت الذي يسمعونه في آذانهم .تقدرين أن تفعلي هذا، لكن قبل كلّ شيء عليكِ أن تكلمي الله عن أولادكِ. أن تقولي: "يا ربِّ يسوع المسيح، أنِر أولادي الصغار. أنا أقدِّمهم إليك. أنتَ أعطيتهم لي، وأنا ضعيفة، لا أستطيع أن أوجِّهَهُم. لهذا، أرجوكَ، أنِرهُم." الله سيُكلِّمهم وسوف يقولون: "آه! كان ينبغي لي أن لا أزعج الأمّ بالذي فعلتُه!". وهذا سيخرج من داخلهم بنعمة الله".

هذا هو التصرُّف الكامل. أن تتكلّم الأمّ مع الله والله يكلّم الولد. إذا لم يكن هذا، تقولين، تقولين وتقولين. . . كلَّ شيء "في الأذن"، وفي النهاية يصبح الكلام نوعاً من الضغط. وعندما يكبر الولد وتبدأ ردّة فعله، أي يثأر بطريقة ما من أبيه وأمّه اللذين ضغطا عليه، في حين أنّ الكمال واحدٌ، وهو أن تتكلّم المحبّة بالمسيح، وبقداسة الأب والأم. إشعاع القداسة يصيّر أولاداً صالحين، لا المحاولة البشريّة.

عندما يكون الأولاد مجروحين في نفوسهم من جرّاء مسألة خطيرة، فلا تتأثّروا إذا كانت ردّة فعلهم وألفاظهم سيّئة. في الحقيقة، لا يريد الأولاد ذلك، لكنهم لا يقدرون أن يفعلوا عكس ذلك في اللحظات الصّعبة. بعدها يندمون. لكن إن أنتم تنفعلون وتغضبون، تصيرون واحداً مع الشرّير فيلهو بكم جميعاً.

✞ قداسة الأهل في الربّ هي أفضل تربية للأولاد

فلنرَ الله في وجه الأولاد ولنعطِ محبَّته لهم ..... وليتعلّم الأولادُ الصّلاة. لكي يصلّي الأولاد، يجب أن يكون عندهم دمُ أهلٍ يُصلّون. وهنا، يقع بعض الناس خارج جوهر المعنى ويقولون:
"طالما أنّ الأهل يُصلّون، هم أتقياء، يطالعون الكتاب المقدَّس،وقد غذّوا الأولاد "وربّوهم بتأديب الربّ وإنذاره" (أف ٦: ٤)، إذاً، يكون هؤلاء أولاداً صالحين". ومع ذلك نرى نتائج عكسيّة بسبب الضغط. وليس بكافٍ أن يكون الأهل أتقياء. عليهم أن لا يضغطوا على الأولاد، ليجعلوا منهم بالقوّة صالحين. من المحتمل أن تُبعد الأولاد عن المسيح. وذلك أن نعيش الفروض الدينيّة بأنانيّة. لا يُريد الأولاد ضغطاً. لا تُلزموهم أن يتبعوكم إلى الكنيسة. باستطاعتكم القول لهم: "مَن يشاء، بمقدوره أن يأتي معي الآن أو لاحقاً".

إتركوا الله يتكلّم في نفوسهم .وسبب الضغط هو الذي يجعل الأولاد عندما يكبرون، مقاومينَ - لبعض الأهل الأتقياء ;-فيبتعدون عن الكنيسة ويتركون كلّ شيء ويسرعون إلى أماكن أخرى لإشباع رغباتهم الذاتيّة وهذا بالتأكيد، ما يسبّبه الضغط الذي يمارسه الأهل "الصالحون" على الأولاد. الأهل "الأتقياء" شكلاً، الذين اعتنوا لجعل أولادهم "مسيحيين صالحين" عن طريق محبّتهم البشريّة، ضغطوا عليهم وصار عكس ما رغبوا.

يُضغط الأولاد عندما يكونون صغاراً وعندما يصبحون في السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة من عمرهم، يصلون إلى النتيجة العكسيّة. . . يبدأون -من ردّة فعلٍ- بالذهاب مع زُمرٍ سيّئة الأخلاق ويقولون أقوالاً فاسدة. ولكن، عندما ينمو الأولاد داخل الحريّة، و يشاهدون في الوقت نفسه

المثَل الصالح عند الكبار، نُسَرّ برؤياهم ونفرح بهم. هذا هو السرّ أن تكون صالحاً، أن تكون قدّيساً لكي توحِيَ وتَشِعّ. يبدو أنّ إشعاع حياة الأولاد نتيجة إشعاع الأهل. يصرّ الأهل: "هلاّ اعترف، هلاّ تناوَل، هلاّ افعل .... النتيجة لا شيء".

هل يراك ولدُك فاعلاً ما تقوله له؟ ما تعيشه، تشعّه أنتَ. أيَشِعُّ المسيح في داخلكَ؟ هذا ينتقل إلى ولدك، وهنا يكمن السرّ. وإن تحقّق هذا، وولدك ما زال صغيراً في السنّ، لن يحتاج أن يتعب كثيراً عندما يكبر. بناءً على ما سبق، يستخدم سليمان الحكيم تحديداً صورة رائعة مشدِّداً على المعنى المتضمِّن الإنطلاقة الجيّدة، البداية الحسنة، الأساس المتين. يقول في مكان ما: "مَن بكّر في طلبها (الحكمة) لا يتعب لأنّه يجدها جالسة (بالقرب) ... عند بابه" (حكمة ٦: ١٥) المبكّر في طلبها "هو الإنشغال بها -أي الحكمة- من عمر الشباب. الحكمة هنا هي المسيح. كلمة "πάρε" تعني "موجود بالقرب".

عندما يكون الأهل قدّيسين وينقلون هذه القداسة إلى الولد ويهبونه تربية في الربّ، إذ ذاك لا يتأثّر الولد بمحيطه تأثُّراً سيّئاً، لأنّ الحكمة أي المسيح ستكون على عتبة بابه. لن يتعب لكي يمتلكها.

يبدو من الصعب جدّاً أن تكون صالحاً، أمّا في الحقيقة فهو سهل جدّاً، عندما تنطلق، وأنتَ صغير، بمسالك حياة صالحة، وعندما تكبر لا تُحتاج إلى التّعب، لأنّك تمتلك الصّلاح في داخلك وتعيشه. أنتَ لا تتعب، أنتَ قد عِشته، فهو إرثك، الذي تحفظه وترعاه في الوقت ذاته طيلة حياتك -إذا انتبهت عليه. . .-

✞ وفي المدرسة - تستطيعون أن تساعدوا الأولاد بالصلاة والقداسة

الحاصل مع الأهل ممكنٌ أن يحصل مع التربويّين. وفي المدرسة تستطيعون أن تساعدوا الأولاد بالصّلاة والقداسة. يمكن أن تظلّلهم نعمة الله وبها يصيرون أولاداً صالحين. لا تحاولوا تصحيح الحالات السيّئة بطرق بشريّة، لأنّ ذلك لا يُؤتي بأيّ نفعٍ. بالصّلاة فقط ستجنون النتائجَ الحسنة. اطلبوا النعمة الإلهيّة للجميع، لتذهب إلى أعماق نفوسهم لتبدّلهم وتغيّرهم. هذا يكون مسيحيّاً.

أنتم التربويّون تنقلون القلق سرّاً إلى الأولاد وتؤثّرون عليهم من حيث لا تدرون. بالإيمان يرحل القلق. نقول في الطلبات: "لنودعْ أنفسنا وبعضنا بعضاً وكلّ حياتنا للمسيح الإله".

قابلوا الأولاد بمحبّة الأطفال المميَّزة. هكذا، إن أحبّوكم، ستستطيعون اقتيادهم إلى جانب المسيح.

ستصبحون أنتم الواسطة. لتكن محبّتكم صادقة. أن لا تحبّوهم محبّة بشريّة كما يفعل الأهل عادةً، بهذا لن تساعدوهم. محبّة في الصّلاة، محبّة في المسيح. هذه هي التي تفيد بالفعل. صلّوا من أجل كلّ ولد ترَونه والله سيرسل نعمته ويوَحِّده معه. قبل أن تدخلوا الصفّ، وخصوصاً الصعبة منها، قولوا صلاة يسوع: "يا ربِّ، يسوع المسيح، إرحمني أنا الخاطئ". وعندما تدخلون الصفّ اغمروا بنظرتكم كلّ الأولاد، صلّوا ثمّ تكلّموا مقدِّمين لهم كلّ ذواتكم. عندما تقومون بهذه التقدمة في المسيح، سوف تفرحون. هكذا ستتقدَّسون أنتم مع الأولاد. ستعيشون داخل محبّة المسيح وداخل الكنيسة، لأنّكم تصبحون صالحين داخل العمل.

إذا حدث وخلق تلميذٌ مشكلة، وجّهوا أولاً ملاحظة عامّة قائلين:

- أيّها الأولاد، أتينا إلى هنا للدرس، للعمل الجدّي .أنا هنا إلى جانبكم لأساعدكم. وأنتم تتعبون لتنجحوا في الحياة. وأنا، الذي أحبّكم كثيراً كثيراً، أتعب من أجلكم. لهذا، أرجوكم أن تحافظوا على الهدوء لِنصل إلى هدفنا.

لن تنظروا إلى الذي أساء التصرُّف .إذا استمرّ، تتوجَّهون إليه لا بغضب بل بجدِّية وحزم.
ستنتبهون كيف تُثبِتون ذواتكم في الصفّ، لتستطيعوا التأثير على نفوسهم. لا يُخطئ الأولاد الصعاب. هذا يعود إلى الكبار .

لا تقولوا للأولاد الكثير عن المسيح، عن الله، لكن صلّوا لله من أجلهم. الكلام يطنّ في الآذان، أمّا الصلاة فتذهب إلى القلب. إسمعوا سرّاً واحداً: لا تعطوا درساً في اليوم الأوّل الذي تدخلون فيه الصفّ. تكلّموا معهم بعذوبة كلمة كلمة. تصرّفوا معهم بمحبّة. في البداية، لا تكلّموهم أبداً عن الله ولا عن النفس. بل في المرّات اللاحقة. تهيَّأوا جيّداً في اليوم الذي ستكلّمونهم عن الله قائلين لهم :
هناك موضوع يشكّ فيه الكثيرون. هو موضوع "الله". ما رأيكم فيه؟ ثمّ تبدأ المناقشة.
وفي يوم آخر كلّموهم عن موضوع "النّفس".
- هل هناك «نفس »؟

ثمّ تكلّموا عن الشرّ من ناحية فلسفيّة. قولوا لهم إنّنا نملك ذاتَين، الخيِّرة والشرّيرة. يجب أن نزرع الخيّر فهو يريد التقدّم، الصّلاح، المحبّة. يجب أن نوقظ هذا كي نصبح أناساً محقّين في المجتمع. تذكّروا ذلك القول: "يا نفسي، يا نفسي، إنهضي، لماذا ترقدين؟" لا تقولوا لهم هكذا بل بكلمات أُخرى على الشكل التّالي: "يا أولاد، كونوا يقظين من أجل العلم، من أجل الصّلاح، من أجل المحبّة. فقط المحبّة تجعل كلّ شيء جميلاً وتملأ حياتنا وتُكسبها معنىً وجمالاً. الذّات الشرّيرة تريد الخمول، الإهمال. لكن هذا يجعل الحياة بلا مذاق، بلا معنى ودون جمال".

لكن، كلّ هذا، بحاجة إلى استعداد. المحبّة تتطلّب تضحيات وفي كثير من الأحيان تضحية وقتٍ. أعطوا الأولويّة للتّحضير لتكونوا جاهزين عند تقديم ما أنتم بصدد إعطائه للأولاد وحاضرين لقوله بمحبّة وقبل كلّ شيء بفرح. اظهروا لهم محبّتكم واعرفوا ماذا تريدون وماذا تقولون لهم. ولكن، هذا كلّه يتطلّب فنّاً، كيف ستتصرّفون مع الأولاد .بناءً عليه، سمعتُ شيئاً عذباً. إستمعوا إليه:

هناك أستاذ، كان مسروراً من كلّ الأولاد، لكنّه كان يعاني من فوضى تلميذ مشاغب، وكان يريد أن يطرده من المدرسة. في مثل هذه الأثناء، أتى أستاذ شاب واستلم الصفّ. إستعلم جيّداً عن التلميذ المحدَّد. عرف الأستاذ الجديد أنّ ذاك التلميذ كان يحبّ بشغف ركوب الدرّاجة. في اليوم الثاني، عندما دخل الصفّ، قال:
- أيّها الأولاد، لديّ مشكلة .أسكن بعيداً وأُعاني من ألم في رجليّ، يمنعني من المشي وأودّ أن أستعمل درّاجة، لكنّني لا أعرف استخدامها. هل يقدر أحدٌ منكم أن يعلّمني؟
حسناً، أسرع التلميذ المشاغب، وقال : أنا، سأعلّمك !
- أتعرف ذلك؟
- نعم، أعرف.

ومنذ ذلك الوقت أصبحا صديقَين عزيزَين إلى حدّ أحزن الأستاذ القديم، الذي كان يراه. شعر أنّه لم يكن كفوءاً لفرض ذاته على التلميذ.

تحدث مرّات كثيرة أن يوجد في المدرسة أولاد يتامى. اليتم شيء صعب. كلّ مَن حُرِم من أهله، وفي عمرٍ مبكرٍ، أصبح بائساً في الحياة. إن حدث واكتسب والِدَيْن روحيَّين، المسيح والكلّيّة القداسة، أصبح قدّيساً. تصرّفوا مع الأولاد اليتامى بمحبّة وتفهّم، واجتهدوا خصوصاً بربطهم بالمسيح وبالكنيسة.

✞ علّموا الأولاد أن يطلبوا مساعدة الله

الدواء والسرّ الكبير لتقدّم الأولاد هو التّواضع. الثقة بالله، تُعطي ضمانةً مطلقةً. الله هو الكلّ. لا يستطيع أحد القول بأنّه هو الكلّ. هذا القول يدعم الأنانيّة. الله يريد أن نقود الأولاد إلى التّواضع. لن نقوم نحن بشيء ولا الأولاد بدون التّواضع. علينا أن ننتبه، عندما تشجِّعون الولد، يجب أن لا تقولوا له: " أنتَ ستحقّق كلّ شيء، أنت مهمّ، أنت شابٌ، أنت شجاعٌ، أنت كامل ....!" بهذا الكلام لا تفيدون الولد.

يمكنكم أن تطلبوا منه الصّلاة. قولوا له: "يا بنيّ، المواهب التي لديك نِعَمٌ قد وهبك إيّاها الله. صلِّ لِيُعطِيَك الله قدراتٍ لكي تزرعها وتُنمِّيها وتنجح بها. لِيُعطِيَك الله نعمته". بهذا يكون الكمال.

على الأولاد أن يطلبوا مساعدة الله في كلّ المواضيع. المديح للأولاد مؤذٍ. ماذا تقول كلمة الله؟ "يا شعبي ! إنّ مرشديك يضلّونك وقد أفسدوا سبيل طرقك" (أشعياء ٣: ١٢) كلّ مَن يمدُحنا، يضلّنا ويفسد طرق حياتنا.

كم هي حكيمة أقوال الله! المديح لا يُهيِّئ الأولاد لأيّة صعوبة في الحياة، فينشأون غير متأقلمين إجتماعيّاً فيتيهون وفي النهاية يفشلون. الآن، فَسُدَ العالم. يقولون للولد كلّ أنواع المديح. علينا أن لا نزعجه ولا نعاكسه ولا نضغط عليه. يتلقى الولد هذا ولكنّه لا يستطيع أن ينفعل حقّاً حتى وفي أصغر صعوبة. وفي أيّة لحظة يعاكسه أحد، ينفجر غضباً، فيَفْقُدُ طاقته.

الأهل هم أوّل مَن يتحمَّل فشل الأولاد في الحياة ومن ثمّ المعلّمون والأساتذة، لأنّهم يمدحونهم باستمرار. يقولون لهم أقوالاً ذاتيّة وأنانيّة. لا يجلبونهم إلى روح الله، يبعدونهم ويغرِّبونهم عن الكنيسة.

عندما يكبرون قليلاً ويذهبون إلى المدرسة مع هذه الأنانيّة، يهربون من الديانة ويحتقرونها، يفقدون الإحترام تجاه الله، تجاه الأهل وتجاه الجميع. يصبحون مقاومِين، وقساةً، لا يشعرون بالألم، ولا يحترمون، لا الديانة ولا الله. ونكون هنا قد خرّجْنا إلى الحياة أنانيّين لا مسيحيّين.

✞ لا يُبنَى الأولاد بالمديح المتواصل

لا يُبنى الأولاد بالمديح المتواصل. بل يُصبحون أنانيّين ومحبّين للمجد الباطل والفارغ. يرغبون أن يُمتَدحوا من الجميع باستمرار في حياتهم كلّها حتى ولو كان المديح كذباً. تعلّم الجميع القول مصحوباً بالأكاذيب وللأسف ويتقبّلها محبّو المجد الفارغ وهي غذاؤهم، "ويؤيّدون قولها ولو كانت كذبة ولو كانت مذمّة". الله لا يريد ذلك. الله يريد الحقيقة. لكن، هذا وللأسف لا يفهمه الجميع ويفعلون عكسه بالكلّية.

عندما تَمدح الأولاد بصورة متواصلة دون تمييز، ينزعجون ممّن يعاكسهم. تثيرهم سِهام الأنانيّة التي اعتادوها من الصِّغر من ضلال مديح الأهل والمعلّمين، ربّما يتقدّمون في الدروس، لكن ما الفائدة؟ في الحياة يخرجون أنانيّين وغير مسيحيّين. الأنانيّون لا يقدرون أبداً أن يكونوا مسيحيّين. يريد الأنانيّون باستمرار أن يمدحهم الجميع، أن يحبّهم الجميع، أن يقول عنهم الكلّ أقوالاً حسنة وهذا شيء لا يريده إلهنا، كنيستنا، ولا مسيحنا.

لا تريد ديانتنا هذه الطريقة، هذه التنشئة. بل على العكس، تريدهم أن يتعلّموا من الصِّغر عن طريق الحقيقة .

حقيقة المسيح تؤكّد على أنّ، إذا امْتدحتَ إنساناً تجعله أنانيّاً. الأنانيّ هو المرتبك، الأنانيّ مُقادٌ من الشيطان ومن الروح الشرّير. وهكذا، يكون عمله الأوّل -وهو ينمو ضمن الأنانيّة- أن ينكر الله وأن يكون إنساناً أنانيّاً غير متآلف داخل المجتمع. يجب أن تقول الحقيقة، أن يتعلّمها الإنسان. وإلاّ تدعمه في جَهْل علمه. عندما تقول الحقيقة لواحدٍ ما، يُرشَد هذا إلى مَوقعه، ينتبه، يسمع الآخرين ويضبَط نفسه، وهكذا، ستقول الحقيقة إلى الولد، تلومُه، لِيُدرك أنّ ما يقوم به غير صالحٍ. ماذا يقول سليمان الحكيم: "مَن

لم يستعمِل عصاه يُبغِض إبنه والذي يحبّه يبتكر إلى تأديبه" (أمثال ١٣: ٢) لكن، لا أن تضربه بالعصا. عندها نبتعد عن الحدود ويصير العكس .

نقود الأولاد بالمديح منذ صِغرهم إلى الأنانيّة. والأنانيّ يمكنك أن تسخر منه، يكفي أن تقول له إنّه صالح، أن تنفخ أناه. فيجيبك: "آه، هذا الذي يمدحني هو إنسان صالح".

ليست هذه أشياءُ حقّة. لأنّ الانسان يكبر مع الأنانيّة، يبدأ الإرتباك في داخله، يعاني، ولا يعرف ماذا يفعل؟ الأنانيّة هي سبب عدم استقرار النّفس، حتى أطبّاء النّفس، إن فتّشوا عن عدم هذا الإستقرار، سيجدون أنّ الأنانيّ هو إنسان مريض.

يجب أن لا نمدح أبداً الناس العائشين معنا وأن لا نلاطفهم، بل علينا أن نقودهم إلى التّواضع، وإلى محبّة الله. كما ولا نطلب نحن محبّة الآخرين بمدحنا لهم. لِنتعلّم أن نحبَّ، لا أن نطلب المحبّة من الآخر.

لِنحبَّ الجميع ونقوم بقدر المستطاع بتضحياتٍ كبيرةٍ دون مقابل لكافة الإخوة في المسيح، دون أن ننتظر مدحاً ومحبّة منهم. وهؤلاء سيقدّمون لنا ما يقوله الله لهم. إن كانوا هم مسيحيّين، يعطون مجداً لله، لأنّنا وُجدنا معهم أو ساعدناهم أو قلنا لهم كلمةً جميلةً.

وهكذا عليكم أن تقودوا أولاد المدرسة. هذه هي الحقيقة، وبغير ذلك لا يُصبحون متآلفين مع الآخرين. لا يعرفون ماذا يفعلون ولا أين يسيرون، وسبب ذلك هو نحن.

لم نَقِدْهم إلى الحقيقة، إلى التّواضع، إلى محبّة الله. جعلناهم أنانيّين وها هي النّتيجة الآن!

هناك أولاد يأتون من صِغرهم من أهل متواضعين، كلّموهم عن الله وعن التّواضع المقدَّس. هؤلاء الأولاد لا يأتون بمشاكل مع الناس العائشين معهم. لا يغضبون عندما تشير إلى غلطهم، بل يحاولون أن يصحّحوه، ويصلّون إلى الله أن يساعدهم كي لا يصبحوا أنانيّين.

أنا، ماذا أقول لكم؟ عندما قد ذهبتُ إلى الجبل المقدَّس، زرتُ آباءً شيوخاً كثيريّ القداسة. هؤلاء لم يقولوا لي أبداً كلمة "Bravo" كانوا ينصحونني دائماً كيف أحبّ الله وكيف أكونُ متواضعاً. أن أسأل الله لكي يقوّيني في نفسي و أن أحبَّه كثيراً. ولم أكن أعرف هذا الـ "برافو" وما طلبته أبداً. على العكس، كنتُ أنزعج إذا لم يَلُمْني آبائي الشيوخ. "كنتُ أقول: بالله، لم أجد آباءً شيوخاً صالحين.!" كنتُ أريد أن يعذّبوني، أن يلوموني، أن يتصرّفوا معي بقساوة. هذه الأمور التي أقولها لكم الآن، إن سمعها مسيحيٌّ، ماذا سيقول؟ سيفقد صوابه وسيرفضهم.

ولكن، هذا هو الصحيح، الوضيع، النقيّ .لم يقلْ لي أهلي أبداً كلمة "Bravo" وما كنت أرغب بها الـ "Bravo" لهذا، كلّ ما كنتُ أقوم به، كان دون مقابل. والآن عندما يمدحني الناس، أشعر بامتعاضٍ كبير. ماذا أقول لكم....أنغلق في داخلي، عندما يقول الآخرون لي "Bravo " لكن، لم تؤذِني هذه الكلمة لأنّني تعلّمت التّواضع. والآن، لماذا لا أريد أن يمدحوني؟ لأنّني أعرف أنّ المديح يجعل الإنسان فارغاً ويطرد نعمة الله. ونعمة الله تأتي فقط بالتّواضع المقدَّس. الإنسان المتواضع هو الإنسان الكامل. أليست هذه كلّها جميلةً؟ أليست حقيقيّة؟......

إذا قلتَ كلّ هذا لأيّ إنسان، "يُجيب ماذا تقول يا صاحبي، إن لم تمدح الولد فليس بمقدوره أن يدرس، لن، ولن، ولن ......" نعم، يقع هذا، لأننا نحن هكذا ويكون الولد حصيلة عملنا. أي إنّنا قد ابتعدنا عن الحقيقة. الأنانيّة أخرجت الإنسان من الفردَوس، هي شرٌّ عظيم .الناس الأوّلون، آدم وحوّاء، كانوا بسطاء ومتواضعين، لهذا، كانوا يعيشون في الفردَوس. لم يكن عندهم أنانيّة. كان عندهم، كما يُقال في اللغة اللاهوتيّة، الولادة الأصليّة -Archégono– عندما نقول الولادة الأصليّة -Archégono-، نقصد النِّعَم التي أعطاها الله في البدء، عندما كوَّن الإنسان. يعني الحياة، عدم الموت، الضّمير، الإكتفاء، المحبّة، التّواضع، إلخ .....

بعدها، حقّق الشيطان نجاحه بالمديح وضلّلهم. امتلأوا أنانيّة. لكنّ طبيعة الإنسان، كما جبلها الله في البدء هي طبيعة تواضع. في حين أنّ الأنانيّة شيء غير طبيعيّ، هي مرض، هي ضدّ الطبيعة.

حسناً، عندما نخلق نحن عند الولد "الأنا الفائق" عن طريق المديح، ننفخ فيه الأنانيّة، ونؤذيه كثيراً، ونجعله أكثر مَيْلاً للأشياء الشيطانيّة. وهكذا مع تنميتنا له "الأنا الفائق"، نبعده عن كلّ قِيَم الحياة.

ألا تعتقدون أنّ هذا هو سبب ضياع الأولاد وإثارة الناس؟

السَّبب هو الأنانيّة التي قد زرعها الأهل فيهم ونشأوا –هُمْ- أي الأهل (عليها).

الشيطان هو الأنانيّ وكوكب الصبح الأكبر، أي إنّنا نعيش الشيطان في داخلنا، لا التّواضع.

التّواضع هو من الله، هو شيء ضروريّ لنفس الإنسان، كما وإنّه شيء عضوي. وعندما ينقص التّواضع يكون كما لو نقص القلب من الجسد .القلب يُعطي الحياة لبنية الإنسان والتّواضع يُعطي حياة للنَّفس. الإنسان بأنانيّته في النهاية، شريك مع الروح الشرّيرة، أي إنَّه ينمو مع روح الشرّ لا مع الصّالح.

هذا ما استطاع الشيطان أن يفعله، حوَّل الأرض جحيماً، كي لا نستطيع أن نتفاهم فيما بيننا. ما الذي حلّ بنا ولا نفهمه؟

أرأيتم كيف ضُلِلنا؟ حقّاً، أرضُنا وعصرُنا أضحيا مستشفى للأمراض النفسيّة! ولا نفهم سبب ذلك؟ الكلّ يتساءل: "ماذا حلّ بنا؟"، أين نحن ذاهبون؟ لماذا شرد أولادنا في الطرقات؟ لماذا رحلوا من بيوتهم، لماذا تخلّوا عن الحياة، لماذا تركوا ثقافتهم؟ لماذا، لماذا كلّ هذا..... ؟"

استطاع الشيطان أن يُخفِيَ ذاته وأن يجعل الناس يستخدمون أسماءَ أخرى. يقول غالباً الأطبّاء ومحلّلو النفس عندما يمرض الانسان: "آه !عندك عصبيّة! " أو ما يشابهها، "آه! عندك قلق!" وما إلى ذلك. لا يعترفون بأنّ الشيطان هو الذي يحرِّك ويثير الأنانيّة عند الإنسان. ولكن الشيطان موجود، هو الروح الشرّير. إن قلنا لا يوجد الشيطان، نكون كمن نرفض الإنجيل الذي يتكلّم عنه. هذا هو عدوّنا، محاربُنا في الحياة، معاكس المسيح، ويقال عنه ضدّ المسيح.

أتى المسيح إلى الأرض، ليُحرِّرنا من الشيطان ويمنحنا الخلاص.

النتيجة التي نستخلصها هي: علينا أن نعلّم الأولاد أن يعيشوا بتواضع وببساطة، و أن لا يطلبوا المديح والـ"Bravo". لِنعلّمهم أنّ التّواضع موجود وهو صحّةُ الحياة .

تفكير مجتمع اليوم يُسيء إلى الأولاد. له نفسيّة أخرى، تربيةٌ أخرى، تتوجَّه إلى أولاد ملحدين.

هذا التفكير يقود إلى الإستقلاليّة. النتائج ظاهرة عند الأولاد وعند الشباب الذين يصـرخون اليوم ويقولون: "يجب أن تفهمونا!"، يجب ألاّ نذهب إليهم، بل على العكس، سنصلّي من أجلهم، سوف نقول الحقّ، سنعيشه، سنعظه، لكن لا نتأقلم بروحهم. أن لا نفسد عظمة إيماننا. ليس من المعقول مساعدتهم في تبنّي تفكيرهم. يجب أن نكون ما نحن وأن نكرز بالحقيقة وبالنور.

من الآباء الروحيّين يتعلّم الأولاد. تعليم الآباء الروحيّين يُعلّم أولادنا عن الاعتراف، عن الأهواء، عن الشّرور، كيف كان ينتصر القدّيسون على ذواتهم الشرّيرة. ونحن نضرع إلى الله لكي يسكن في داخلهم.

حول سرّ التوبة

"التوبة الحقيقيّة تجلب التّقديس"

✞ التّوبة الحقيقيّة تجلب التّقديس

لا شيءَ أعظمُ سموّاً ممّا يسمّى "التّوبة والإعتراف". هذا السرّ هو هِبةُ محبَّةِ الله للإنسان. بهذه الطريقة الكاملة يتحرَّر الإنسان من الشرّ. نذهب، نعترف، نشعر بمصالحةٍ مع الله، يأتي الفرح إلى داخلنا، يرحل الذنب. ليس طريق مسدود في الأرثوذكسيَّة. لا يوجد طريق مسدود، لأنَّ المعرِّف الذي أُعْطِيَتْ له نعمةُ الغفران حاضرٌ. عظيمٌ هو الأبُ الروحي!.

هذا الشيء كان عندي منذ الصغر –وما زال حتى الآن-. عندما كنت أقعُ في الخطايا، كنت أعترفُ بها وكانت تزولُ عنّي كلُّها. كنت أطيرُ من فرحي. أنا خاطئ، ضعيف، ألتجئ إلى شفقة الله، أَخْلُصُ، أهدأ، وأنسى خطاياي بكاملها. كلّ يوم أفكر بأنّني أخطئ، لكنَّني أرغب في أن أجعلَ كلّ ما يحصُلُ لي صلاةً وأن لا أُغلِقَهُ في داخلي.

الخطيئة تجعلُ الإنسانَ كثيرَ الإرتباكِ نفسيّاً. هذا الإرتباكُ لا شيءَ يزيلُهُ. فقط بنور المسيح يزول الإرتباك. المسيح هو الذي يقوم بالمبادرة الأولى. "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين ..." (متى ١١: ٢٨).

ونحن البشر نتقبَّلُ هذا النور برغبتنا الصالحة، التي نعبِّرُ عنها بمحبَّتنا للمسيح، بالصّلاة وبالأسرار.

كي تتوبَ النفسُ، يجب أن تستيقظ، وبهذه اليقظة، تصيرُ أعجوبة التّوبة. هنا توجد رغبة الإنسان. لكنَّ الإستيقاظ لا يَعْتمدُ فقط على الإنسان. الإنسان لا يقدر وحده. الله يتدخَّل وعندها تأتي النعمة الإلهيَّة. بدون النعمةِ لا يستطيعُ الإنسان أن يتوبَ. محبَّة الله تفعل كلّ شيء. من الممكن أن يستخدمَ طرقاً ما –مرضاً أو شيئاً آخر، حسْبَ الحالة- لِيجلُبَ الإنسان إلى التّوبة. إذاً، التّوبةُ تُنجَزُ بواسطةِ النعمةِ الإلهيَّة. ببساطةٍ وبلطفٍ، نحن نفعلُ حركةً ما نُجاه الله ومن هناك فصاعداً تأتي النعمة.

من الممكن أن تقولوا لي: "إذاً بالنعمة يصيرُ كلّ شيء". هذه هي نقطةٌ دقيقة. وهنا يصير ذاك الذي أقولُه تحديداً. لا نستطيعُ أن نحبَّ الله، إذا ما أحبَّنا الله. يقول الرسول بولس هذا بكلامٍ جميلٍ جداً: "وأمّا الآن إذْ عَرفتم الله، بل بالحري عُرِفتم من الله.... " (غلاطية ٤: ٩). يحصُلُ الشيءُ ذاتُهُ مع التّوبة. لا نستطيعُ أن نتوبَ، إن لم يُعطنا الربُّ التّوبة. وهذا الأمر يصلح في كلّ شيء. يعني يصلح المكتوب: "لأنَّكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يوحنا ١٥: ٥). إذا لم توجد شروط مسبقة كي يدخل المسيح عميقاً في داخلنا، لا تأتي توبةٌ. الشروط المسبقة هي التّواضع، المحبَّة، الصّلاة، السَّجدات والتّعب من أجل المسيح (الجهاد). إن لم يكن الشعور صافياً، إن لم يوجد بساطة، وإن كان للنفس مصلحة، لا تأتي النعمةُ الإلهيَّة. عندها نذهب للإعتراف ولكن لا نشعر بارتياح. التّوبة هي شيءٌ دقيقٌ جداً. التّوبة الحقيقيّة ستجلب التّقديس. التّوبة تقدّسنا.

✞ عندما يعترف الإنسان، تحرّره النعمة من الجروحات النفسيّة

لا يتحمَّلُ الإنسانُ المسؤوليّة فقط لأخطائِهِ. الأخطاء، الآثام، والأهواء ليست هي فقط مسالك حياة شخصيَّة للمعترف. كلّ إنسانٍ قد أخذ بداخله مسالك حياة والدَيْهِ، وخصوصاً مسالك الأمّ، يعني كيف كانت تعيشُ أمُّهُ خلالَ حملِها له، إذا كانت تنزعج، ماذا كانت تفعل، إذا كان يتعب جهازها العصبي، إذا كان لها فرحٌ، إذا كان لها حزنٌ، إذا كان لها كآبة. آيه، جهازها العصبي كلّه، أثّر على جهاز جنينها العصبي. عندها، عندما يولدُ الطفلُ ويكبُرُ، يأخُذ بداخله مسالكَ حياة أمِّهِ، أي مسالكَ شخصٍ آخر. تتكوَّن حالةٌ ما في نفس الإنسان بسبب والِدَيْه، التي ترافقُهُ في حياته كلّها. هذه الحالة تترك آثاراً في داخله، وأشياءَ كثيرة تحصل في حياته نتيجة هذه الحالة. تصرّفاتُهُ لها علاقة مباشرة بحالة والديه. يكبر، يتعلّم، ولكن لا يُصحَّح. هنا يوجد قسمٌ كبيرٌ من المسؤوليَّة لحالة الإنسان الروحيَّة.

بل يوجد سرٌ واحدٌ. توجد هناك طريقة كي يتحرَّر الإنسان من هذا الشرّ. هذه الطريقة هي **الإعتراف الشّامل**، الذي يصير بنعمة الله. أي من الممكِنِ أن يقول لك الأب الروحي: "كم كنت أريد أن نكون في مكانٍ هادئٍ، أن لا يكونَ عندي إنشغالاتٌ وأن تُخبرَني عن حياتِك منذ البداية، من الوقت الذي بدأتَ تشعرُ بذاتِك كلّ الأحداث التي تتذكَّرُها وكيف كنتَ تواجهُها، ليس فقط المحزنة بل والمفرحة منها، ليس فقط الخطايا بل ما هو جيِّدٌ. والنجاح والفشل. كلاهما. وكلّ ما تكوِّنُهُ حياتُك".

مراتٍ كثيرةٍ قد قمتُ بهذا الإعتراف الشّامل ورأيتُ عجائبَ من خلاله. في الوقت الذي تقولُها أنت للمعرِّف، تأتي النعمةُ الإلهيَّة وتحرِّرك من كلّ مسالك الحياة السيِّئة والقروح والجروحات والذنوب، لأن في الوقت الذي تقولُها، يدعو المعرِّف بحرارة للربّ لِتَحَرُّرِكَ .أي لتكون حراً.

أتتني منذ زمنٍ سيِّدةٌ قد اعترفت لي بهكذا نوعٍ من الإعتراف ولاقت إفادة كبيرة. تحسَّنت حالتها النفسيَّة لأنَّ شيئاً كان يعذِّبُها. هذه السيِّدة، أرسلت إليَّ صديقتها وذهبنا خارجاً في الهواء الطلقِ لجوار الصخرة في منطقة كاليسيا. جلسنا هناك وبدأت تلك السيِّدة تكلّمني. قلت لها:

–قولي لي كلّ ما تشعرين به. إن سألتك أنا عن شيء، أجيبي. وإن لم أسألك، أكملي الكلام، حسب ما تشعرين به.

كنت أتابع كلّ ما كانت تقوله لي، ليس فقط بإنتباهٍ بسيط، بل **"كنت أرى"** داخل عالمها النفسي تأثير الصلاة. كنت أتابع هذا التأثير في أعماق نفسها و**"كنت أرى"** كيف كانت النعمةُ تلِجُ إلى أعماقها، كما كنت أنا أتأمَّلُها. **لأن عند الأب الروحي توجد نعمة، وتوجد كذلك عند الكاهن**. أتدركون هذا؟ يعني عند اعتراف الإنسان، يصلّي الكاهنُ من أجله. وفي الوقت نفسه، تأتي النعمة وتحرِّره من الجروحات النفسيَّة، التي كانت لسنوات طويلة تعذِّبُه دون أن يعرفَ سببها. آه، إني أصدِّق هذا كثيراً!.

تستطيع أن تتحدّث للمعرّف مثلما تشعر، لكن هذا ليس بالقدر المهمّ، بل بالمقدار الذي يتأمَّله الكاهن المعرِّف داخل نفسك وهو يصلّي، ويرى كيف حالُك، ناقلاً إليك النعمة الإلهيَّة .قد بُرهِن أنّ هذا التأمّل هو إشعاعاتٌ روحيَّةٌ تريحُكَ وتعالجك .لا تعتقدوا أنّ هذه الإشعاعات طبيعيَّة .بل هي حقيقيَّة.

ماذا حدث مع المسيح؟ كشف أمر يد النازفة الدمّ عند لمسها له وقال:

"قد لمسني واحد لأنّي علمت أنّ قوةً قد خرجت منّي"(لوقا ٨ :٤٦). سوف تقول: "أجل، لكنَّه كان الله المسيح!"، بالتّأكيد، كان هو الله. تُرى ألم يفعل الرسُل العملَ ذاته؟

الآباء الروحيّون والمعرِّفون كلُّهم، أُعطِيَتْ لهم هذه النعمة، وعندما يصلّون يطلقونها كما المولّدات. مثلاً، نريد أن نشعلَ "سخّانة" هنا الآن (بواسطة الكهرباء)، ونضع الشريط من طرفها فقط، لكن لا يتمُّ الإحتكاك، لأنّ الشريط من الطرف الآخر ليس داخل "البريز- Prize". وفي اللحظة التي يدخل فيها الشريط، يتمُّ الإحتكاك، فتأتي الكهرُباء بواسطة هذا المولّد. هذه هي ـروحانيات ديانتِنا. حديثُنا عن شريط ولكنَّه بالفعل هو "التحليل الإلهي النفسيّ".

✞ الله يغفر كلّ الخطايا بالإعتراف

أن لا نعود إلى الوراء إلى الخطايا التي قد اعترفنا بها. تذكُّر الخطايا يشكّل سوءاً. هل طلبنا السماح؟ إنتهى. الله يغفر الخطايا كلّها بالإعتراف. يجب ألاّ نرجعَ إلى الوراء وأن ننغلقَ باليأس. أن نكون عبيداً متواضعين أمام الله. أن نشعر بالفرح وبعرفان الجميل لغفران خطايانا.

ليس صحيّاً أن يبالغَ أحدٌ بحُزنِهِ لخطاياه وأن يثورَ ضدَّ ذاتِهِ الشرّيرة وصولاً حتى اليأس. اليأس وفقدان الأمل هما الأسوأ. هما فخٌ ينصبُه الشيطان، كي يجعلَ الإنسانَ خاسراً حماسَهُ للروحانيّات وأن يحمِلَهُ إلى اليأس، إلى الكسل، وإلى اللامبالاة. عندها، لا يقدرُ الإنسان أن يفعلَ شيئاً ويُصبح لا نفع له. يقول: "إنَّني خاطئ، بائسٌ، أنا هذا....، أنا ذاك....، لم أفعل هذا....، لم أفعل ذاك.... .في ذلك الوقت، كان عليَّ أن أفعل، الآن لا شيء.... .خسرتُ سنواتي، إنّي لستُ مستحقاً ". يتكوّن عنده شعور بالإحباط، التدنّي الذاتي غير المثمر، كل هذا بالنسبة له بؤسٌ. أتعلمون كم ثقيلٌ هو هذا الشيء؟ إنَّه تواضعٌ كاذبٌ غاش.

هذا كلُّه مؤشّراتُ إنسانٍ يائسٍ يسيطر عليه الشيطان. يصل الإنسان إلى حدٍّ لا يريد فيه حتى ولا أن يتناول القربان المقدّس، يعتقد أنَّه غيرُ مستحقٍ لأي شيء. يحاول أن يستخِفَّ بطاقته وبذاتهِ، فيصير غير نافعٍ. هذا هو الفخّ الذي ينصبُهُ الشيطان، كي يفقدَ الإنسان أملهُ في محبَّة الله. هذه هي أمورٌ مخيفة، معاكسة تُجاهَ روحِ الله. وأنا أفكّر بأنَّني أخطئ. لا أسيرُ (بالجهاد) جيّداً، ولكن كلّ ما يُزعجني، أجعلُهُ صلاةً، لا أُقفِلُ عليه في داخلي، أذهب إلى الأب الروحي، أعترف له به، وانتهى! أن لا نعودَ إلى الوراء ونقولَ لماذا لم نجعلَ من اليأس صلاة. الذي له معنى هو ماذا سنفعل الآن، منذ هذه اللحظة وبعدَها. كما يقول الرسول بولس:

"إذْ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قدّام". (فيليبي ٣: ١٣).

كان روحُ الجبنِ يذهب إلى الرسول بولس ليقطعَ له محاولتَهُ المتَّجهة نحو المسيح، لكنَّه تمنطق بالشّجاعة وقال: "..... فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلاطية ٢: ٢٠).

والقول الآخر:

"من سيفصلنا عن محبَّة المسيح. أشدةٌ أم ضيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عريٌ أم خطرٌ أم سيفٌ. كما هو مكتوب إنَّنا من أجلك نُماتُ كلّ النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح" (رومية ٨: ٣٥-٣٦).

ويقول داود النبيّ: "لا أموت بل أحيا وأحدّث بأعمال الربّ". (مزمور ١٧: ١١٧). جِدوا اللذةَ في الكتابات المقدَّسة. تذكَّروا ذلك القول الجميل:

"أنا أحبّ الذين يحبّونني، والذين يبكّرون إليّ يجدونني" (أمثال ٨ :١٧).

✞ عند المسيح يوجد كلّ ما هو جميلٌ وصحيّ

إنْ أحببنا المسيح، يهونُ ويسهُلُ كلّ شيء .أنا لم أصل إلى تطبيقه بعد .أحاول الآن أن أحبَّه .عند المسيح يوجد كلّ ما هو جميلٌ وصحيّ .النفس الصحيّة تعيش نِعَمَ الروح القدس، التي هي: "محبّة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفّف" (غلاطية ٥:٢٢ –٢٣). إنسان الله يعيش أيضاً كلّ ما يقوله الرسول بولس في **نشيد المحبَّة**: "المحبَّة تتأنّى وترفق..... لا تظنُّ السوءَ..... تحتمل كلّ شيء وتصدّق كلّ شيء..... **المحبَّة لا تسقط أبداً**" (كورنثوس الأولى ١٣:٤ –٨).

هل عندكم هذه المحبَّة كلُّها؟ إذن تكون لكم السعادة، المسيح، الفردوس. وبنيتُكم الجسدية أيضاً تعمل بإعجابٍ دون خلل. نعمة الله تغيِّرُ الإنسان وتبدِّلُهُ نفسيّاً وجسديّاً. عندها ترحلُ كلّ الأمراض. فلا التهاب في المصران الغليظ، ولا في الغدّة ولا في المعدة ولا شيء. تعملُ كلُّها بشكل طبيعي. إنَّ المشْيَ لَرائع وكذلك العملُ، والحركة، وأن تتمتَّع بالصحّة. **لكن، أن تتمتَّع أولاً بالصحّة النفسيّة.** الأساس هو الصحّة النفسيّة وتتبعها الجسديّة. الأمراض كلُّها تقريباً تأتي مسبقاً من نقص الثقة بالله وهذا يصنعُ القلق. إلغاءُ الإحساس الدّيني يولّدُ هذا القلق. إن لم يكن عندكم عشقٌ للمسيح، إن لم تنشغلوا بعوامل مقدّسة، بالتّأكيد ستُملأون بالكآبة وبالشرّ. لكن، ماذا يحصَلُ في العالم؟ إستمعوا لي لأقولَ لكم مثلاً.

ذهبت فتاةٌ لعيادةِ طبيب ووصف لها "هورمونات"، قلت لها:

– يا إبنتي، لا تأخذيها! أنا لست طبيباً، ولا أريد أن تفعلي هذا على مسؤوليَّتي، لكن أفهم إنَّه يجب عليك أن لا تأخذيها. من المستحسن أن تذهبي على الأقلّ لعيادةِ طبيب غدد "Endocrinologue". مشكلتكِ هي أكثرُ إختصاصاً بطبيب غدد. هي من الزعل المفرط.

– بالفعل، لقد مررْتُ بزعلٍ مفرط.

– ايه، هذا هو !كوني بسلام، إهدأي، إعترفي، تناولي القربان المقدّس وستتسوّى حالتُكِ كلُّها.

ذهبت على الأثر لعيادةِ طبيب غدد وأخبرته بما كان يحصُلُ معها.

قال لها الطبيب باستغراب.................. Pa, Pa, Pa

– توقّفي عن أخذ هذه الأدوية! إرميها! ستؤذيك كثيراً.

وبعد هذه المقابلة إتَّصلت بي هاتفيّاً:

– كلّ ما قلتَهُ أنت لي، قالهُ لِيَ الطبيب.

أتَرَوْنَ، ماذا يحصُلُ؟ بالإعتراف والمناولة المقدَّسة قد شفِيَ أناسٌ كثيرون.

عندما يخلو أحدٌ من المسيح، تأتيه آلاف التجارب وتملأه حسداً، كرهاً، ضجراً، كآبة، ردَّةَ فعلٍ، فكراً دنيوياً وأفراحاً دنيويّة. حاولوا أن تملأوا نفوسَكُم بالمسيح، كي لا تكونَ فارغةً. نفوسُنا تشبه حوضاً مملوءاً ماءً. إن رمَيْتَ الماءَ نحو الأزهار، أي الفضائل التي هي طريق الخير، ستعيش الفرح الحقيقي وتوقف نموّ المساوىء، أي الأشواك. لكن، إن رميتَ الماءَ نحو الأشواك، فستنمو هذه، وتخنقُكَ وستذبُلُ كلّ الأزهار.

إرموا الأشواك كلّها في الهواء، وهكذا ستعيشون الفرح، بنعمة الله.

"أستطيع كلّ شيء في المسيح الذي يقوّيني" (فيليبي ٤:١٣).

لا تقولوا إنَّكم ستنجزون شيئاً. لا تتصوّروا هذا أبداً. قال الربّ:

"من دوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً". ولا يصير هذا بغير معونة الربّ. **يجب ألاّ يثق الإنسان أبداً بقواه بل برحمة ورأفة الله.** الإنسان سيقوم بمحاولة صغيرة، والمسيح سوف يكلّلها. إنَّه لضلالٌ أن تصدِّقوا بأنَّكم فُزتم لوحدكم بشيء. بقدرِ ما يتقدّم الإنسان ويقترب من المسيح، بقدرِ ما يتكاثر شعورُهُ بأنَّه غيرُ كامل. في وقت يقول الفرّيسي:

"أنا !أنا صالحٌ، أفعل هذا، وأفعل ذاك، وذلك.... "، إنَّه لَفي ضلال.

✞ الصّلاة، عبادة الله - تحوّل الكآبة وتجعل منها فرحاً

يحصلُ اليومَ مرّاتٍ كثيرةً بأنَّ الإنسان يشعُرُ بشدّةٍ، بيأسٍ، بضعفٍ، بكسلٍ، بضجرٍ وبكلّ التّجارب الشيطانيّة. أن يكون الإنسان في ضيقٍ، في بكاءٍ، في إكتئابٍ، أن لا يعطي أهميّةً لعائلتِهِ، أن يبدِّرَ كومة من الأموال ثمنَ أدوية لمحلّلين نفسانيّين. يصف الناس هذه الحالات "بعدم الإستقرار والأمان". ديانتنا تؤمن بأنَّ هذه الحالات هي تجارُب شيطانيّة. الألم قوّةٌ نفسيّةٌ وضعها الله في داخلنا، بهدف فعل الخير، المحبَّة، الفرح، والصّلاة .عكس ذلك، يصل الشيطان إلى هدفه فيتناول هذه القوّة النفسيّة من بطّارية نفسنا ويستخدمها للشرّ، مسبّباً لها كآبةً، حاملاً النفسَ إلى الكسل والضجر. يعذّب الإنسان، يعتقلُهُ ويمرضُهُ نفسيّاً.

يوجد سرٌ واحدٌ. **أن تحوّلوا الطاقة الشيطانيّة إلى طاقة خيّرة.** إنَّه صعب وبحاجةٍ إلى إستعدادٍ ما. **الإستعداد هو التّواضع.** وبالتّواضع تنتزعون النعمة الإلهيّة. أعطوا أنفسكم إلى محبَّة الله، إلى عبادته، إلى الصّلاة. ولكن إن فعلتم هذا كلَّه، دون أن تمتلكوا التّواضع، فما حقّقتم شيئاً. كلّ الأحاسيس الشرّيرة، عدم الإستقرار، اليأس، الإحباط، التي تذهب للسَّيطرة على النفس، تختفي بالتّواضع. المتكبّر، الأناني يرفض أن تقطع له إرادتَهُ، أن تفضَحَهُ وأن توجِّه إليه الإرشادات. ينزعجُ، يعصّبُ، يثورُ، ينفعلُ وتتسلّط عليه الكآبة.

هذه الحالة تُشفى بالنعمة. على النفس أن تغيّر إتّجاهها صوبَ محبَّة الله. الشفاءُ سوف يصير بأن تحبَّ النفسُ اللهَ بشغف. كثيرون من قدّيسينا حوّلوا الكآبة إلى فرحٍ بالمحبَّة تجاه المسيح. أي كانوا يتناولون هذه القوّة النفسيّة، يسلّمونَها إلى الله، ويبدِّلونَها فرحاً وتهليلاً، في حين كان الشيطان يريدُ تدميرَها. الصّلاة، عبادة الله تحوّل وتقلُبُ الكآبة شيئاً فشيئاً إلى فرحٍ، لأنَّ نعمة الله تعملُ فعلَها. هنا أنت بحاجةٍ، أن تكون لك القوّة، لِتنتزعَ نعمة الله التي ستساعدك على أن تتَّحدَ به، ويُحتاج كذلك إلى فنّ. عندما تسلّم نفسك إلى الله وتصبحُ واحداً معه، ستنسى الروح الشرّيرة التي كانت تشدُّكَ من الخلف، وبتجاهُلِكَ لها سترحل هذه الروح. ومن بعد، بقدرِ ما تتفرَّغ لروح الله، بقدر ما تتوقّف عن النظرِ إلى الخلف، لترى الروح التي كانت تشدُّك. عندما تجذبُكَ النعمة، تتّحدُ مع الله. وعندما تتَّحد مع الله وتسلّم نفسك إليه، ترحل كلّ الأشياء الأخرى، تنساها وتخلُص. الفنّ الكبير، إذن، السرّ الكبير، لتتحرّر من الكآبة وكلّ الأشياء السلبية هو أن تسلّم نفسك لمحبَّة الله.

شيءٌ واحدٌ يقدرُ أن يساعدَ المكتئب هو العمل، الإهتمام للحياة .الحديقة، النّباتات، الأزهار، الأشجار، المصيْف، السير والمشي في الهواء الطلق، هذه الأشياء كلّها ترفعُ الإنسان من الكسل وتخلقُ له إهتماماتٍ أخرى. تفعلُ وتؤثرُ كالأدوية .الإنشغال بالفنّ، بالموسيقى إلخ..... تعملُ عملاً جيّداً. أمّا إلى جانب ذلك، فأعطي المعنى الأكبر للإهتمام بالكنيسة، لمطالعة الكتاب المقدَّس، وللخِدَم الكنسيّة. مطالعاً ومتلقّناً أقوالَ الله، يُشفى أحدٌ دون فهمِهِ السّبب.

لأقُصَّ عليكم قصَّة فتاةٍ، أتت إليّ أنا الحقير (في الربّ). كانت تعاني من كآبة مخيفة. لم يُشفِها أيُّ دواءٍ، تركَتْ كلّ شيء. تركَتْ عملَها، بيتَها، وإنشغالاتِها. أمّا أنا فقلت لها ما أعرِفُهُ. قلت لها عن محبَّة المسيح، التي تعتقلُ النَّفسَ، لأنَّ نعمة الله تملأُ النَّفسَ وتبدّلها. أفهَمتُها أنَّ هذه القوّة هي شيطانيّةٌ تأخذ النَّفس وتحوّلُ قوَّتَها إلى كآبةٍ، ترميها إلى أسفل، تعذّبُها وتصيّرها غير مفيدة. نصحتها بأن تنشغلَ بإنشغالاتٍ عدّة، بالموسيقى مثلاً، التي كانت تعْجبُها أولاً إلخ..... لكنّني ركَّزتُ أكثر على أن تُدير إتّجاهها ومحبَّتَها نحو المسيح. قلت لها أيضاً أنَّ **داخلَ كنيستِنا يوجدُ علاجٌ وشفاءٌ بالمحبَّة نحو الله وبالصّلاة،** التي ستُقامُ وتُتلى بشغفٍ وشوق.

هذا هو سرّ الشّفاء وكنيستنا تقبلُ هذا

حول المرض

"أشعر بالمرض كمحبّةِ المسيح"

✞ يا مسيحي، محبَّتُك ليس لها حدود

أشكر الله، الذي أعطاني أمراضاً كثيرةً. أقول له مراتٍ عديدة: "يا مسيحي، محبَّتُك ليس لها حدود!". كيف أحيا إنّها أعجوبة. إضافة إلى الأمراض المتفشّية فيَّ، سرطان في الغدّة النُّخامية في الدماغ. من جرّائه تكوَّن ورمٌ صار يكبرُ ويضغط على عصب النظر. لِذا فقدْتُ بصري الآن. أتألّم تألُّماً شديداً. لكنَّني أصلّي حاملاً بصبرٍ صليبَ المسيح. أرأيتم كيف هو لساني؟ قد كبُر، لم يعُدْ كما كان. وهذا من جرّاء السرطان الموجود في رأسي. وكلّما تقدَّمتُ في السنّ تسوءُ حالتي. سيكبَرُ لساني أكثر، سيصعُبُ عليَّ الكلام. أتألّم كثيراً، أعاني، لكنَّ مرضي جميلٌ جدّاً. **أشعر به كمحبَّةِ المسيح**. أتخشَّعُ وأشكرُ الله. هذا المرض[1] لخطاياي. إنَّني خاطئٌ والله يحاولُ جَعلي نقيّاً.

عندما كنت في السادسة عشرة من عمري، كنت أرجو الله أن يُنزِلَ بي مرضاً مستعصياً، سرطاناً، كي أتألّم لمحبَّته وأمجِّده من خلال الألم. لوقتٍ طويلٍ كنت أقومُ بهذه الصَّلاة. لكنَّ أبي الروحي قال لي إنَّ طلبي أنانيٌّ وبه أجْبِرُ الله. يعرف الله ماذا سيفعل. عندها لم أعُدْ أكمل صلاتي. لكن، انظروا، إنّ الله لم ينسَى طلبي وأعطاني هذه النعمة بعد عدّة سنوات!.

لا أرجو الله الآن، أن يأخذ منّي ما طلبته منه.

أفرح لأنَّني أحملُ المرضَ، لأصيرَ أنا أيضاً –من محبَّتي العظيمةِ له– شريكاً بآلامه. تأديبُ الله معي.

"إنّ الذي يحبُّه الربُّ يؤدِّبه". (عبرانيين٦: ١٢)

إنَّ مرضي لَتقديرٌ مميّزٌ لي من الله، يدعوني به أن أدخُلَ في سرِّ محبَّته، وأن أحاولَ بنعمته الخاصّة أن أتجاوب (مع محبَّته). لكنَّني لستُ مستحقّاً. ستقولون لي: "كلّ ما يكشفُهُ الله لك لا يجعلُك مستحقّاً؟". هذه تُدينُني وهي من نعمة الله. لا شيءَ منّي. أعطاني الله نِعَماً كثيرةً، لكنَّني لم أتجاوبَ معها. ظهرتُ غيرَ مستحقٍ. لكنَّني ولو للحظةٍ لم أترك المحاولة. وربَّما أعطاني الله مساعدتَهُ لأستسلمَ لمحبَّتِه.

لِذا لا أصلّي ليجعلني الله بخير. بل ليجعلني صالحاً. أنا على يقينٍ بأنَّ الله يُدرك أوجاعي. ولكنَّني أصلّي لنفسي لِيغفِرَ لي آثامي. لا أتناول أدوية، وما ذهبتُ لجراحةٍ، ولا لفحوصاتٍ ولن أقْبَلَ بعمليّة جراحيّة. سأترك التدبيرَ لله. وما أقومُ به هو محاولتي فقط أن أصيرَ صالحاً، هذا أطلبوه أنتم لي كذلك. نعمةُ الله تُمسكني. أحاول أن أُعطي ذاتي للمسيح، أن أقترب من المسيح، أن أتَّحِدَ بالمسيح. أتشوَّقُ لهذا،

[1] كان الأب البار يعاني من الأمراض التالية: ١- سداد في عضلة القلب، ٢- قصور مزمن في الكلي،٣- قرحة المعي الإثني عشر (مع نزيف متقطّع)، ٤- إجراء عملية المياه الزرقاء في العين (مع فقدان البصر)، ٥- zoster herpes القوباء المنطقِيّة (في الوجه)، ٦- إلتهاب جلدي (عنقودي) في يده، ٧- فتق (فتاق)، ٨- إلتهاب شعبي مزمن، ٩- ورم خبيث في الغدّة النُّخامية في الدماغ.

لكنَّني ما نجحتُ به بعد –لا أقول هذا تواضعاً – لكنَّني ما خسِرت شجاعتي. أصبر. أصلّي لِيغفِرَ الله خطاياي. قد سمعتُ من كثيرين قولَهُم: "لا أستطيعُ أن أصلّي".

أمّا أنا فلم أُعانِ من ذلك. مرّةً واحدةً فقط "لِعدم طاعتي" حلَّ بي هذا في الجبل المقدَّس.

لا يُشغِلُني كم سأعيش وإذا كنت سأعيش، هذا قد تركتُهُ لمحبَّةِ الله. يحصلُ مع بعضهم مرّاتٍ كثيرة، أن لا يريد أن يتذكَّر الموت، وهذا لأنَّه يرغب الحياة. هذه وجهةُ نظر وعلامة خلود النفس (عدمُ موتِها). لكن، "إن حُيِيْنا، فللربِّ نحيا، وإن مُتْنا فللربِّ نموت" (رومية ١٤:٨). **الموت جسرٌ سوف يأخذنا إلى المسيح**. وفي اللّحظة التي تُغمضُ عيونُنا ستُفتَح في الأبديّة. وسنحضُرُ أمامَ المسيح. سنعيشُ في الحياة الأخرى نعمةَ الله بشدّة أكبر.

✞ كنتُ أشعرُ بفرحٍ عظيم بالفكرة أنّني سوف ألتقي مع الرب

قد وصلتُ مرّةً من المرّات إلى الموت[٢]. قد عانيتُ من نزيفٍ معويٍ شديدٍ من الكورتيزون الذي وضعوه لي في المستشفى عندما أجريْتُ عمليَّةً في العين التي خسِرتُها في النهاية. يومَها كنتُ أسكنُ قلاّيةً صغيرةً، لم يكن الدَّير قد شُيِّد بعد. ومن جرّاء إنحلالٍ قويٍ حلَّ بي صرتُ لا أميِّز بين الليل والنهار. وصلتُ إلى الموت ولكنَّني عشتُ. ضَعُفتُ كثيراً. انقطعت شهيَّةُ الأكلِ منِّي. لمدَّةِ ثلاثة أشهر كنت أحيا بثلاث ملاعق من الحليبِ في اليوم. نجَوْتُ من عنزةٍ !!.

كنت أعيش مع فكرة الرحيل. كنت أشعر بفرحٍ عظيم بالفكرة، أنَّني سوف ألاقي الربَّ. كان في أعماقي إحساسٌ بحضور الله. حينها أراد الله أن يقوِّيني ويعزِّيني ببركة كبيرة. كلّما كنت أشعر بأنَّني ألفُظُ أنفاسي، كنت أرى نجمةً في السماء تَبْرُقُ، كانت ترمي حولَها إشعاعاتٍ حُلوةٍ لذيذةٍ. كانت رائعة اللّمعان، كانت نجمةً جميلةً جدّا ! كان لنورِها سحرٌ بديعٌ لا يوصف. كانت بلونِ أزرق سماويّ فاتح، كانت كالماس، كحجرٍ غالي الثمن. كانت تملأني تعزيةً وفرحاً كلّما كنت أراها، لأنَّني كنت أشعر في داخلها بأنَّها الكنيسة كلّها، الله الثالوث، الكلّيةُ القداسة، الملائكة، القدّيسون. كان عندي إحساسٌ بأنَّ أقربائي كانوا هناك، نفوس أعزّائي كلّهم، آبائي الأجلاء. كنت أصدِّق أنَّني عندما كنت سأرحلُ من هذه الحياة إلى تلك النجمة، كنت سأذهب أنا إليها من محبَّة الله، وليس من فضائلي. كنت أريد أن أصدِّق أنَّ الله، الذي يحبُّني، يُظهرها لي، ليقولَ لي: "أنتظرك!".

كنت لا أريد أن أفكِّر بجهنَّم، وبالأرواح الشرّيرة. كنت لا أتذكَّر خطاياي في الوقت الذي كان عندي الكثير منها. تركتُها. كنت أتذكَّر فقط محبَّة الله وكنت أفرح. وكنت أرجو: "أن أكونَ أنا هناك"، في تلك النجمة، "لِمحبَّتِك، يا إلهي!. لكن إن كان بسبب خطاياي، يجب أن أذهب إلى الجحيم .فَلتضعني محبَّتُك أينما تريد. **يكفي أن أكون معك!**".

السنوات الطويلة التي عشتها في الصحراء كانت محبّةً عظيمةً للمسيح. كنت أقول لذاتي: "إن ذهبتَ إلى فوق إلى السماء وسألكَ الله: "يا صاحبي، كيف دخلتَ إلى هنا وأنت لا تلبِسُ ثوب العرس؟" (متى١٢:٢٢). ماذا تريد أنت هنا؟"، سأجيبُهُ: "كما تريد يا سيّدي، كما تريد محبَّتُك، لِتضعْني محبَّتُك أينما تَرغَب. أسلّم ذاتي إلى محبَّتِك. إن شئتَ وضعي في جهنَّم، فضعني، **يكفيني أن لا أخسَرَ محبَّتَكَ!**".

---

[٢] هذا الحدث حصل سنة ١٩٨٣

كان لي إحساس بالخطيئة، لِذا كنت أقول ضمناً ودون انقطاع صلاةَ القدِّيس سمعان اللاهوتي الحديث: "إنّني أعلمُ أيّها المخلّص أنْ لا أحَدَ غيري أخطأ إليك كما خطئتُ أنا. ولا فعلَ ما فعلتُ أنا. ولكنَّني أعلم يا إلهي علمَ اليقين، أن لا عِظَمَ الزلاّت ولا كثرة الخطايا، تفوق طولَ أناتِكَ الكثيرة ومحبَّتكَ القُصوى للبشر". (الإفشين الثامن لسمعان المترجم في صلاة المطالبسي). كلماتُ الصلاة هذه ليست من أقوالنا. نحن لا نستطيع أن نفكّرَ ولا أن نعبِّرَ بأقوال كهذه التي كتبَها قدّيسون. وهذه الكلمات التي كتبَها القدّيسون، علينا أن نتبنّاها، أن نشعرَ بها وأن نعيشَها. ويُعجِبُني ما يلي هذه الطلبة.

"ليس خافياً عنك، يا إلهي، يا صانعي و منقذي، لا قطرةٌ من الدموع، ولا جزءٌ من القطرة. وقد عرَفت عيناك عدم عملي. وفي كتابك مُدوَّنٌ ما لم أفعله بعد أيضاً. فانظر إلى تواضعي، وتعبي ما أكثر مقدارَهُ!! واغفر خطاياي جميعَها يا إله الكلّ....."

هذه الصلاة كنت أردِّدُها دائماً وبغبطةٍ، لأرحَلَ بأفكارها. وبمقدار ما كنت أردِّدُها، بمقدار ما كانت تظهَرُ النَجمَةُ معزِّيتي، هناك بعيداً فوق في اللانهاية. كانت تطِلُّ عليَّ تلك النجمة طوال الأيام التي كنت أتألّمُ بها وعند إطلالتِها، كانت تطيرُ نفسي فرحاً وكنت أردِّد في أعماقي: "أتت نجمتي!!". كنت أشعر بأنَّها تجذُبني إليها مرتحِلاً عن الأرض. كنت أحسُّ بفرحٍ عظيمٍ عندما كنت أراها. كنت لا أريد أن أفكّر بخطاياي، كما سبقَ وقلت لكم، لأنَّ خطاياي كانت ستُخرجني من هذا السرّ. مرّةً واحدةً فقط، فقط مرّةً واحدةً، شعرت بالنجمةِ فارغةً، لا لمعانَ فيها ولا فيها أحد. فهمت أنَّ هذا كان من الشرّير. تجاهلت هذا، دُرتُ إلى مكانٍ آخر، وتكلّمتُ مع أختي عن أعمالٍ، وبعد قليلٍ أبصرتُ النجمة مرّةً أخرى تتلألأ ببهاءٍ. عاودني الفرحُ من جديد بحيويّةٍ أكثر.

كانت الأوجاعُ رهيبةً في كلّ جسمي طوالَ هذا الوقت. كان يراني الآخرون أنّني ألفظُ أنفاسي الأخيرة. أمّا أنا فكنت قد سلَّمتُ ذاتي إلى محبَّة الله. ما كنت أصلّي ليحرِّرني الله من هذه الأوجاع. شوقي كان أن يرحمني فقط. كنت قد اتَّكأتُ عليه، انتظرت أن تفعلَ نعمتُهُ فِعلتَها. كنت لا أخاف الموت. كنت سأذهب إلى المسيح. كما قلتُ لكم، كنت أتلو دوماً صلاةَ القدّيس سمعان اللاهوتي الحديث، ولكن دون مصلحةٍ ذاتيّة حتى ولا لِيُعطِيَني صحَّتي. هذه الصَّلاة، كنت أشعر بها كلمةً كلمة.

✞ السرّ في المرض هو أن تجاهد لِتَكْسَبَ نعمة الله

إفادةً كبيرةً نجني من الأمراض، يكفي أن نصبُرَ عليها دون تذمُّرٍ وأن نمجِّد الله، طالبين رحمته. الموضوع، حين نمرَض لا يعني أن لا نأخُذَ الأدوية أو أن نذهبَ لِنصلّي إلى القدِّيس نكتاريوس، بل علينا أن نعرِفَ السرّ الآخر وهو أن نجاهد لِنكْسَبَ نعمة الله. هذا هو السرّ. المسائل الأخرى ستعلّمنا إيّاها النعمة، يعني كيف يجب أن نُسلّم أنفسَنا للمسيح. أي أن نزدري بالمرض، أن لا نفكّرَ به، بل نفكّر ببساطةٍ، بغير انفعال وبغير مصلحة، والله بدورِهِ يعمل أعجوبته لفائدةِ نفوسِنا. كما نقول في طلبة الليتورجية (القدّاس الإلهي) "لِنودع أنفسنا وكلّ حياتنا للمسيح الإله".

لكن يجب علينا الإزدراء بالمرض. وإن لم نرد، صار من الصّعبِ أن نقول "إنّني أزدري به". وفي اللحظة التي نعتقدُ فيها أنَّنا نزدري به، وأنَّنا لا نعطيه الأهمِّية، نكون في الواقع قد أعطينا المرض شأناً وهو دائماً موجودٌ في عقلنا ولا نستطيع عندها الحصول على حالةِ هدوءٍ سلاميَّة في أعماقنا. وسوف أبيِّنُ لكم هذا. نقول: "أؤمن بأنَّ الله سيشفيني. لا أتناولُ أدوية. سأفعل هكذا، سأبقى طوالَ الليلِ ساهراً راجياً

منه الشفاء ممَّا أعاني، سيسمعني الله". نصلّي كلَّ الليل، نرجو، نتضرَّع، نطلبُ، نصرخُ، نغصب الله وكلّ القدِّيسين أن يجعلونا بصحَّة جيِّدة. نغصبهم نهاراً وليلاً. نركض من هنا ومن هناك. إيه، ألا نشير بتصرفاتنا هذه أنَّنا لم نزدرِ بالمرض؟؟ بقدر ما نصِرُّ ونغصب الله والقدِّيسين على أن نصيرَ معافين، بقدر ما نعيش المرض. وبقدر ما نهتمّ بطرده، بقدر ما نعيشهُ أيضاً. لهذا، لا نتعافى. وعندنا الإنطباع أنَّه ستحصَل أعجوبة دون شكّ. ولكن في الحقيقة لا نثق بذلك، وبهذه الطريقة لا نتعافى.

نصلّي كثيراً، لا نأخذ الأدوية. وبهذا لا نهدأ والأعجوبة لا تحصَلْ. لكن ستقول: "لم آخذ الدواء، كيف لا أؤمن؟" وفي أعماقنا شكٌ وخوف ونفكّر: تُرى ستحِلّ هذه الأعجوبة؟؟ وهنا يصلُحُ القول: "إن كان لكم ايمانٌ ولا **تشكّون**، فإنَّكم تعملون لا مثل ما عَمِلْتُ بالتينة وحسب، بل إن كنتم تقولون لهذا الجبل: انقلع وانطرح في البحر، يكونُ ذلك". (متى٢١:٢١) عندما يكونُ الإيمانُ حقيقياً، سيحصَلُ ما سيحصل إن أخذتَ الدواء أو لم تأخذهُ. والله يفعل بالأطبّاء وبالأدوية. تقول حكمة سيراخ: "أدِّ للطبيبِ كرامته لأجل خدماته فإنَّ الربَّ خلقه هو أيضاً. الربُّ أخرجَ الأدوية من الأرض والرجل الفطن لا يستخفُّ بها. ثمَّ راجع الطبيب فإنَّ الربَّ خلقه هو أيضاً ولا يفارقك فإنَّك تحتاج إليه" (حكمة سيراخ ١ :٣٨، ٤، ١٢)

السرّ كلُّهُ هو الإيمان، أن يكون عفويّا ً، بسيطاً، مطواعاً وصافياً. "ببساطة وصفاء القلب" (حكمة سليمان ١:١). موضوع الإيمان لا يُفرض فرضاً. من الممكن أن يكونَ هذا الفرضُ عند مسكين (مشعوذ) ووقعُ هذه الكلمة ليس مستحبَّا . لِيكن عندنا إيمانٌ أنَّ محبَّة الله لنا تفوق كلَّ محبَّة، وإنَّه يريد أن نصيرَ خاصَّته. لِذا يسمح بالأمراض، حتّى نسلّم ذواتِنا بثقةٍ إليه.

لِنحبَّ المسيحَ، وكلّ ما في حياتنا سيتبدَّل. لا تكونُ محبَّتُنا للمسيح كي نأخُذَ مقابلاً، مثلاً، الصحَّة. لكن، أن نحبَّهُ بلهفةٍ، من عرفان جميلِهِ، دون أن نفكّر بشيء إلاّ بالمحبَّة الإلهيَّة. ولا أن نصلّي لِمنفعة ولا أن نقولَ لله: "إجعل فلاناً بصحَّةٍ جيِّدةٍ لِيأتي إليك". إقتراحُنا له طرقاً، ليس صحيحاً. كيف نقول لله: "إجعلني بخير؟" كيف نقولُ له، وهو الذي يعرفُ كلَّ شيء، بِمَ سنُعْلِمُهُ؟ نحن سنصلّي، لكنَّ الله يستطيع أن لا يرغَبَ الإستماع إلينا.

سألني مريضٌ منذ زمن طويل:

- متى سأصبحُ بصحَّةٍ جيِّدة؟

- آه، قلت له. إن تقلْ "متى سأصبحُ بصحَّةٍ جيِّدة؟"، بهذا لن تصبحَ أبداً. ليس صحيحاً أن ترجو الله طلباتٍ كهذه. ترجو الله بقلقٍ أن يأخذَ منك المرض، عندها يغمُرُكَ المرضُ ويضيِّقُ عليكَ أكثر بكثير. يجب ألاّ نرجو الله لهذا. ولا أن تقيمَ لهذا صلاةً.

خاف وقال:

- أن لا أقيمَ صلاة؟

- واعتباه! قلت له. نعم، أن تصلّي كثيراً، ولكن لِيغفِرَ الله خطاياك وأن يُعطِيَكَ القوة لِتحِبَّهُ ولِتُسلّم ذاتكَ له. لأن بقدر ما ترجو أن يرحلَ المرضُ عنكَ، بقدر ما يلتصقُ بك، يغمرُكَ، يضيِّق عليك، لا يَزيحُ ولا ينفصل عنك. إذا شعرتَ حقيقةً بصعوبة داخليَّة وضعفٍ، عندها أُرْجُ الربَّ بتواضعٍ أن يطرحَ عنك المرض.

✞ لِنسلّم أنفسنا بثقةٍ لِمحبّة الله

عندما نسلّمُ أنفسنا للمسيح، تسلمُ بُنْيَتُنا الروحيَّة، وهذا السلام يُنتِجُ عملاً طبيعيّاً لكافّةِ أعضاء الجسم وغِدده. يتأثّرُ الكلّ. نصيرُ بصحَّةٍ جيِّدة، ونتوقّف عن المعاناة. والسرطان إذا حصل وتركناه لله وهدأت نفْسُنا، فبهذا الهدوء، تستطيع النعمة الإلهيَّة أن تُرحِّلَ هذا السرطان وتذهب بسائر الأمراض.

وإن أردتُم أن تعلموا، فقرحةُ المعدة تتكوَّن من التعصيب. يُضغَطُ على الجهاز العصبي، يُضيَّق عليه ويعاني وهكذا تتكوَّن القَرحة. مرَّة، مرَّتين، ثلاث، تضييق، تضييق، تضييق، زعل، زعل، زعل، قلق، قلق، قلق وفجأة دون سابق إنذار تأتي القرحةُ: قرحة أو سرطانٌ، حسْبَ الحالة. عندما يوجدُ في نفسنا تعقيدات، تؤثّر هذه التعقيدات على الجسم فيعتلُّ، وتسوءُ الصحَّة.

الكمال هو أن لا نصلّي من أجل صحَّتِنا. ولا أن نطلب لِنصيرَ بخير، بل لِنُصبِحَ صالحين. وأنا لذاتي أدعو هذا، أقولُ لكم. أسمعتم؟ لا أن تكونوا صالحين، يعني أصحاب فضائل، "أن نصيرَ هذا، وهذا، وهذا...... " بل أن نربَحَ الغيرة الإلهيَّة. أن نسلّم أنفسنا بثقةٍ لمحبّته. أن نصلّي أكثر بكثير لِنفسنا. ونفسُنا نعني بها نفساً متَّحدةً بالكنيسة –التي رأسُها المسيح- مع كلّ من يعيشُ معنا ومع جميع الإخوة بالمسيح.

أمَّا أنا فأفتح يديّ وأصلّي للكلّ. وأمام الكأس المقدَّسة، عندما أتناولُ، أفتحُ نفسي لإستقبالِ الربِّ، حانياً رأسي، داعياً طالباً إليكم، وللآخر، وللكنيسة كلّها. هكذا إفعلوا أنتم. أفهمتم؟ لا أن تُصلّوا من أجل صحَّتكم. لا أن تقولوا: "يا رب، إجعلني بخير". "لا!! بل، قولوا: **"يا ربّي يسوع المسيح، إرحمني"**، إطلبوا هذا بدون مصلحة، بمحبَّة، غيرَ منتظرين شيئاً .

"يا ربّ، كما تريد محبَّتك...... ". هكذا ستعملون فقط من الآن فصاعداً، محبِّين للمسيح ولإخوتنا. أحبّوا المسيح. صيروا قدِّيسين. إرموا ذواتكم فقط بالصداقة مع المسيح، فقط في محبَّته، فقط في العشق الإلهي.

تُرى ألا يحصلُ لي أن لا أذلَّ للمرض ولا للسرطان، وأنا الذي أحُسُّ بهذا الحماس الإلهي الشغوف، وبهذه العبادة، ولو أشعُرُ باهتراءِ جسمي؟ يجب ألاّ أتكلّم، غيرَ أنَّ محبَّتي لكم ولكلّ العالم لا تُجيزُ لي الصمت. وأنا أتحدَّثُ إليكم، تبقى رئتايَ دون أوكسجين، وهذا سيءٌ للغاية، لأنَّ القلبَ يصاب بهكذا حالةٍ. أُصبتُ بشيء أسوأ من هذا بكثير من جرّاء جلطة دمويّة لكنَّني أحيا. أليس هذا هو التدخّل الإلهي؟ نعم، وأنا مطيعٌ في المرض لإرادة الله. أصبُرُ دون تذمّر و..... مع ترثّي على ذاتي، لأن "لا أحد خالٍ من النجس" (أيّوب ١٤:٤). أنا مقرفٌ وروحي تعاني من المرض.

قلت للنّاسكِ الذي أتّصل به:

- صلِّ لأجلي. أنا أحبُّك! وأنت أحبِبني واشفق عليَّ، ولله صلِّ من أجلي ليرحمني.

- إيه، أنت صلِّ، قال لي.

- أنا، قلت له، أبدأ الآن بالتّراجع بكلّ ما كنت أفعله طوال هذه السنين. ماذا تقول الطروبارية؟

"إنّ العقلَ قد تجرّح والجسمَ قد ضني

والروحَ قد اعتلّ والنطقَ قد ضعف

والعمر قد أُميت والنجاز على الأبواب

فماذا تصنعين أيتها النفسُ الشقيّةُ إذا ما

جاء القاضي لِيستفحص أمورَك؟".

(القانون الكبير للقدِّيس اندراوس الكريتي، الطروبارية الأولى الأودية التاسعة).

تصلُحُ لي هذه الطروبارية، بهذا أرى ذاتي. أفكّر بأنّني لو ما فعلت هذا وذاك، لما كنت توجَّعْتُ الآن، وكنت أكثرَ قرباً للمسيح. أقول هذا لي أنا الطّائش..... .

إن أردتم أن يكون لكم صحَّةٌ وأن تعيشوا سنين كثيرة، إسمعوا ماذا تقول حكمة سليمان:

"بَدءُ الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدّوس فهمٌ. لأنَّه بي تكثر أيّامك، وتزداد لك سنو حياة" (أمثال ٩ :١٠،١١).

هذا هو السرّ، لِنكسِب هذه الحكمة، هذه المعرفة، وعندها سيعمل الكلّ بخير، وسيتنسَّق ويتناغم الكلّ، وسنعيش بفرحٍ وصحَّة.

حول أفكار القلب

"علينا في كلّ حين أن نطلب لإخوتنا بمحبّة"

✞ ليكن عندنا الصّلاح والمحبّة في داخل نفسنا

للإنسان قوى يستطيع بطريقة ما نقلَ الخير أو الشرّ إلى محيطه. هذه الموضوعات جِدّ دقيقة، وهي بحاجة إلى إنتباه كبير. علينا أن نرى أبسط الأشياء وبطريقة صالحة، كما ويجب أن لا نفكّر أبداً بالإساءة للآخرين. نظرةٌ واحدةٌ وتنهيدةٌ واحدةٌ تؤثران على من يعيشون معنا. **والغضبُ مهما قلَّ يولّد شرّاً**. ليكن عندنا الصّلاح والمحبّة في داخل نفسنا. ولننقُلهما بالتالي إلى الآخرين.

ولنتنبه أن لا نَغضَب على الذين يُؤذوننا بل فلنُصلِّ فقط بمحبّة من أجلهم. ويجب ألاّ نفكّر أبداً بالإساءة إليهم وإن تمادى بعضُهُم في أذِيَّتنا ولو كان يعيش معنا، وعلى صلاتنا أن تكون دائماً وأبداً بمحبّة وأن نفكر بالخير في كلّ آن.

ترَوْنَ كيف كان الشهيد الأول استفانوس يدعو (لراجميه) بصوتٍ عظيم: "يا رب، لا تُقِمْ لهم هذه الخطيئة" (أعمال الرسل ٧ : ٦٠)، وعلينا نحن أن نقتدي به.

يجب ألاّ نفكّر أبداً بأنّ الله سيُنزل بالآخر سوءاً ما، أو سيعاقبه على خطيئته. هذا الفكر يجلُب الشرّ العظيم دون أن نُدرك نحن ذلك. نغضَب مرّاتٍ كثيرة ونقول للآخر: "ألا تخاف عدالة الله، ألا تخاف من أن يعاقبك؟" ونقول مرةً ثانيةً: "ليس من الممكن إلاّ أن يعاقبك الله على ما فعلته" أو "يا إلهي، لا تُنزل شرّك على ما فعله نحوي هذا الإنسان" أو "أن لا يعاني هذا الإنسان ما عانَيت".

في شتّى الحالات، يختلجُ شوقٌ في أعماقنا لأن يُعاقَب الآخر. لكن، بدل أن نعترف له بغضبنا من جرّاء غلطته، نُبيّن بطريقة أخرى غضبنا متظاهرين بأننا نرجو الله لِيَرْفق به، أمّا في الواقع فنلعنُ هذا الأخ.

وبدل أن نصلّي أحياناً نقول "لِيجازِكَ الله ولْتلقَ الشرّ منه على ما فعلتَهُ بي"، وعندها، ندعو الله مجدّداً أن يعاقِبَهُ.

وأيضاً عندما نقول، "فليكن..... ، الله يرى"، إستعدادُ نفسِنا يعمل بطريقةٍ سرّيةٍ، يُؤثّر على نفس هذا الإنسان الذي يعيش معنا وهذا الأخير يعاني الشرّ.

عندما نفكّر بالسوء، تخرج من داخلنا قوةٌ ما شرّيرة وتنتقل إلى الآخر كما ينتقل الصوت بواسطة التموُّجات الأثيرية، وبالفعل يعاني هذا الأخير السوء، ويَحِلُّ أمر ما كصيبة العين عندما تكون في قلب الإنسان أفكارٌ شرّيرة للآخرين، وهذا نتيجة غضبنا الذاتي. نحن ننقل بطريقة غير منظورةٍ شرّنا. لا يسبّب الله الشرّ بل الشرّ سبَبُهُ الناس. الله لا يعاقب، بل استعدادُنا للشرّ ينتقل سرّاً ً إلى نفس الآخر فيُولّد

فيه الشرّ. **المسيح يرفض دوماً الشرّ**. وعلى العكس يدعو:

"باركوا لاعنيكم... " (متى ٥:٤٤).

صيبةُ العينِ قباحةٌ كبرى. وهي التأثير الشرّير الحاصل عندما يغار أحدٌ من أحدٍ ويتمنّى متاعاً أو شخصاً يرغب به. هذا يتطلّبُ إنتباهاً كبيراً. الحسد يُولّد شراً كبيراً للآخر ومن يصيبُ بالعين لا يخطُرُ بباله وإن قليلاً بأنّه يقترف السوء. أرأيتم ما يقوله العهد القديم: "سحرُ الباطِلِ يُغشّي الخيرَ" (حكمة سليمان ٤:١٢).

غير أنّ إنسان الله الذي يعترف ويتناول القربان المقدّس ويحمِلُ الصليب، لا تنالُ منه أبداً قوى الشرّ وإن تجَمْهَرَ عليه كلّ الشياطين.

✞ "ضجيج التذمّرات لا يكفي"

في نفوسنا مكانٌ يُدعى "مهذّب الأخلاق" "moraliste". يثور هذا المثالي ويدين من يخالف، في الوقت الذي يرتكب هو —ومرّاتٍ كثيرة— المخالفة ذاتَها. ويرمي هذا المثاليُّ دائماً المخالفات على الآخر منزِّهاً نفسه عنها. وهذا لا يريده الله.

يقول المسيح في الإنجيل: "يا من تعلّم غيرك أما تعلّم نفسك؟ أنت يا من تعظ أن لا يَسرِق أتسرقُ؟" (رومية٢:٢١).

من الممكن أن لا نسرق، بل نقتل، نلوم الآخر ولا نلوم ذاتنا. نقول على سبيل المثال: "كان عليك فعل هذا. ولكن لم تفعله، فجنت يداك ثمار فعْلَتِكَ!". في الواقع، نرغب في أن يعاني الآخر شرّاً. عندما نفكّر بالشرّ من الممكن أن يحصل حقّاً. وبطريقةٍ غير معلنةٍ وغير ظاهرة نُضعِف عند الآخر القوّة التي تولّد الصّلاح، فاعلين له الشّر. من الممكن أن نُصبح سبباً لمرض هذا الآخر، لخسارتهِ عملهُ، ممتلكاته...... إلخ. بهذه الطريقة لا نفعل شرّاً فقط لأخينا بل لذاتنا أيضاً، لأنّنا نبتعد عن نعمة الله. نصلّي ولا تُسمع صلاتُنا. "نطلب ولا ننال" (يعقوب ٤ :٣) لماذا؟ هل فكّرْنا لحظةً بذلك؟ "لأنّنا طالبون ردياً". يجب أن نجد طريقة نعالج بواسطتها الميول التي في داخلنا، تلك التي تُشعرنا وتدفعُنا إلى التفكير بالشرّ نحو الآخر.

من المحتمل أن يقول أمروؤٌ: "سيُعاقَب فلانٌ من الله حسْبَ تصرفُّه"، معتقداً أنّ كلامه لا شرّ فيه. ومن الدقة بمكانٍ أن يميّز أحدٌ إذا كان في كلام المرء سوءٌ أم لا. لا يكون الأمر واضحاً. إنّه لشيءٌ خفيّ جداً ماذا تُخبّئ نفسنا وكيف يمكن أن يؤثّر هذا على أشخاص وأشياء.

عندما نقول بخوفٍ –إنّ الآخر لا يعيش جيّداً- ونصلّي كي يساعدَه الله ويعطيه توبة، بهذا لا يحصل الشرّ ذاته يعني أن لا نقول وأن لا نرغب في العمق في أن يعاقبه الله على ما فعله. عندها لا نفعل للقريبِ شرّاً أبداً بل نوفّر له الخير والصّلاح. عندما يدعو أحدٌ لقريبه، تخرج منه قوّةٌ صالحةٌ وتذهب بدورها صوبَ الأخ فتشفيه وتقوّيه وتحييه. غريبٌ كيف تذهب عنّا مثلُ هذه القوّة! في الحقيقة من يحمِل في داخله الخيرَ يُرسِل للآخرين سرّاً وبلطفٍ هذه القوّة الخيّرة. وكذلك يُرسِل نوراً يجعل حوله دائرةَ حمايةٍ ويحميه من الشرّ. عندما يكون فينا استعدادٌ صالحٌ تُجاه الآخر ونصلّي، نخدم الأخ ونساعده ليسيرَ نحو الله.

هناك حياةٌ غير منظورة، هي حياةُ النفس. وهي قويّةٌ جداً وتستطيع أن تؤثّر على الآخر وإن فصلتنا عنه الكيلومترات. ويحصَل هذا مع اللعنة، التي هي قوّةٌ تصنع الشرّ. ولكن إن صلّينا لأحد بمحبّة، ينتقل إليه الخير مهما بَعُدَت المسافة. إذاً لا يتأثّر الخير والشرّ بالمسافات. نستطيع أن نُرسِلَهما إلى مسافات لا حدودَ لها.

يَشهدُ على ذلك سليمان الحكيم: "ضجيج التذمّرات لا يَخْفَى" (حكمة سليمان ١ :١٠). ضجيج نفسِنا يصل بشكل سرّي ويؤثّر على الآخر وإن لم نعبّر بكلمة واحدة. ومن الممكن، دون أن نتكلّم، نقلُ الخيرِ أو الشرّ إلى القريب مهما فصلتنا عنه المسافة. وما لا يُعبّر عنه له قوّةٌ أكبر من الكلام.

✞ يا كلّيتي القداسة، إجعليه أن يمجّدَ اسمكِ!

سأسمِعُكُم حدثاً خاصّاً بي. كنت ذاهباً مرّة إلى ضيعتي عن طريق خلكيذا. فرأيت فيها عند محطّة القطار فتىً يقود عربة خيلٍ، كان يحاول أن يعبُرَ سكّة القطار. أمّا حصانه فكان يرفضُ أوامرَهُ، ممّا دفع هذا الأخير إلى شتم كليّة القداسة. حزنت كثيراً حينَها وقلتُ على الفور: "أرجوكِ يا كلّيتي القداسة أن تجعليه يمجّدُ اسمَكِ!". وبعد خمسِ دقائق انقلبتِ عربةُ الفتى رأساً على عَقِبٍ وغطّتْهُ. وفجأة فُتِحَ برميلُ نبيذٍ حلوٍ كانت تجرّهُ تلك العربة فاغتسل الفتى بهذا النبيذ. ارتجفَ الفتى وقد ضمّ رأسهُ بكفّيْه وبدأ يصرخ: "يا كلّيتـ....تي....تي القداسة، يا كلّيتـ....تي....تي القداسة، يا كلّيتـ....تي....تي القداسة!!".

كنت أنظرُ إليه من فوق.... كنت أبكي وأقولُ إلى كليةِ قداستنا: "يا كلّية قداستي، لماذا فعلتِ به هكذا؟ قلتُ أنا أن يمجِّد اسمَكِ، ولكن بغيرِ هذه الطريقة". حزنتُ للفتى. ندِمْتُ لأنّني سبّبتُ له المعاناة التي عاناها. كنت أعتقد أنّني قد قلت تلك الدعوةَ إلى كلّية القداسة بوداعةٍ وحسن نيّة، عندما سمعتُهُ يشتم اسمها، لكن في داخل نفسي، قد يكوَّن سرّياً -على الأرجحَ- غضبٌ ما.

سأقصُّ عليكم حدثاً آخَرَ فتتعجّبون، وليست هذه الأحداث من مخيِّلتي. كلّ ما أقوله لكم هو حقيقي. إسمعوا.

في أمسية من الأمسيات، زارت سيدة ما إحدى صديقاتِها. وفي البهوِ، لفتَ نظرَها إناءٌ يابانيٌّ جميلٌ وقيِّمٌ، مُلِيَ بالأزهار، راحت تتفحَّصُهُ.

- ما أجمَلَ هذا الإناء !متى ابتَعْتِهِ؟

- جاءني به زوجي.

وفي اليوم التّالي، عند الثامنة صباحاً، وبينما كانت السيدة الزائرة تشرب القهوة مع زوجها، خطر ببالها الإناء الذي ترك عندها إنطباعاً كبيراً. وقالت له بإعجاب:

- ماذا أخبِرك عن صديقتي؟ !أتاها زوجها بإناءٍ يابانيٍ رائعِ الشكلِ، متعدّد الألوان، وجماله الذي لا يوصف كان يزيِّن كلَّ البهوِ.

وفي اليوم ذاته، ذهبت هذه السيدة من جديد إلى صديقتها لعمل ما. جالت نظرها فلم تَرَ الإناء. قالت:

- ماذا فعلتِ بالإناء؟

- ماذا أقول لك، أجابتها. بينما كنت عند الثامنة صباحاً في غرفتي والهدوءُ يخيِّم في كلّ مكان، سمعت "قرقعةً!" قويّةً، فإذا بإناء الزهر قد سقط أرضاً وتكسَّر قطعاً قطعاً. هكذا حلَّ به، دون أن يلمُسَه أحدٌ، دون أن يلفَحَه الهواء ودون أن تحرِّكه يَدُ إنسان!.

في البداية،لم تنطق تلك السيدة بكلمة. ثمّ قالت:

- ماذا أقول لك.... عند الثامنة، كنّا زوجي وأنا نشرب القهوة وبإعجاب وفرحٍ وصفت له إناءَكِ. وبانفعالٍ كبيرٍ وصفته!. ماذا أقول، أتعتقدين أنَّ قوّةً شريرةً ما كسرتِ الإناء؟ من الممكن حصول ذلك فقط إذا كنت لا أحبُّك.

ولكن حصل هذا. لم تُدْرك أنَّ الشرّ كان في داخلها. هذا كان حسداً، غيرةً وصيبة عين. **تنتقل القوّةُ الشرّيرة وإن كنّا بعيدين جداً**. هذه هي الغرابة في الأسرار. لا مسافة. لِذا انكسرَ إناءُ الزهر. أتذكَّر شيئاً آخَرَ كانت الغيرةُ سببَه.

كانت حماةٌ تغارُ كثيراً من كنَّتِها. كانت لا تريد أن ترى شيئاً جميلاً عليها. ابتاعت الكنَّة يوماً قطعة قماشٍ جميلة موشَّحة لِتخيطها فستاناً لها، اشتعلتِ الغيرةُ في قلب الحماة لمّا رأت قطعة القماش. خبّأتِ الكنَّةُ قطعة القماش في أسفل صندوقٍ مقفلٍ تحت مجموعة من الثياب كي يحينَ زمانُ خياطتِها. حانَ وقتُ خياطة الثوب. ذهبتِ الكنَّةُ لتجلُبَ قطعةَ القماش وماذا ترى! قطعةُ القماشِ كانت إرباً إرباً، لا فائدة منها، علماً بأنَّ الصندوق كان مقفلاً بإحكام. لا حواجزَ للقوّة الشرّيرة، لا يمنعُها قفلٌ ولا تقفُ في وجهها المسافات. تستطيع القوّةُ الشرّيرة أن تُدهورَ سيّارةً دون عطلٍ أو سبب ما.

✞ "بروحِ الله نصيرُ غيرَ قادرين على فعلِ أيّة خطيئة "

حسناً، أفهمتُم كيف أنّ أفكارَنا الشرّيرة وميلَنا نحو الشرّ تؤثّر على الآخرين؟ لِذا علينا إيجاد طريقة نُطهِّر بها عمقَ ذواتِنا من كلِّ شرّ. عندما تكون النفس مقدّسة، يشِعُّ الخير والصّلاح، ونرسلُ بصمتٍ محبّتنا دون كلام.

من المؤكَّدِ، أنَّ هذا فيه بعض الصعوبة. تذكَّروا، هكذا كانت البداية مع بولس الرسول. كان يقول بألم: "أنا لا أعملُ الصَّلاح الذي أريده وإنَّما الشرّ الذي لا أريده فإيّاه أمارس" (رومية ٧:١٩).

وبالتالي قال: "لكنّني أرى في أعضائي ناموساً آخر يحارب الشريعة التي يريدها عقلي، ويجعلني أسيراً لناموس الخطيئة الكائن في أعضائي. فيا لي من إنسان تعيس! من يحرِّرني من جسد الموت هذا؟" (رومية ٧:٢٣-٢٤).

كان بولس ضعيفاً جدّا ً. وحينَها كان يعجِزُ عن عملِ الصَّلاح، في الوقت الذي كان يتشوَّقُ إليه وإلى عمل الخير.

هذا ما كان يقوله في البداية. وعندما سلَّم نفسَه بهدوءٍ وتُؤَدَةٍ لمحبَّةِ الله ولعبادته، أبصرَ الله وقدَّر أشواقَهُ، فحلَّ فيه وأسكنَ النعمة الإلهية في قلبه. هكذا نجح في أن يعيشَ المسيح. دخلَ المسيحُ نفسُه أعماقَ

بولس الذي كان يقول:

"لا أستطيع فِعْلَ الصَّلاح ولكنَّني أشتاقُ إليه"، نجح بولس بنعمة الله أن يصيرَ غيرَ قادرٍ على ارتكاب الشرّ. في البداية، كان غيرَ قادرٍ على فعلِ الخير، وعند دخول المسيح إلى قلبه صارَ غير قادرٍ على فعلِ الشرّ. نَعَمْ، كان يصرخُ قائلاً:

"لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ" (غلاطية ٢:٢٠).

كان يقول هذا ويعظُ به بفخرٍ وعظمة "أنّ المسيحَ في داخلي"، في الوقت الذي كان يقول في البداية: "كنت أريدُ فعل الخير ولكنَّني كنت عاجِزاً". إلى أين ذهب "إنسانِيَ التعيس.... ؟" رَحَلَ! النعمةُ الإلهية أنجزتْ عملَها. بدَّلتْ إنساناً تعيساً بإنسان ممتليء نعمة. كافأتْهُ النعمةُ قبل أن يُذَل.

أفهمتم؟ جميعاً نصيرُ بروح الله غيرَ قادرين على فعلِ أيّة خطيئة، غيرَ قادرين لأنَّ المسيح يعيش في أعماقنا. إذاً قادرون فقط على فعلِ الخير. **وهكذا ننفصل بنعمة الله عن الشرّ ونستقرُّ في ذاتِ الله.**

إذا سلَّمْنا ذواتِنا إلى روح الله، وإذا سلَّمنا ذواتِنا إلى محبَّة المسيح، يتبدَّل الكلّ، يتحوَّل الكلّ، يتغيَّر الكلّ، ويتصيَّر الكلّ. الغيظ، الغضب، الغيرة، الحسد، الحنَقْ، الإدانة، نكران الجميل، التعاسة، الكآبة، **يصيرُ الكلّ محبَّةً، فرحاً، رغبةً وعشقاً إلهيّاً وفردوساً!!!**

لمحة سريعة عن سيرة الأب البار الذاتية

وُلد الشيخ البار الأب برفيريوس في ٧ شباط ١٩٠٦ في بلدة ايفيا-

من أعمال اليونان، وكان اسمه العلماني ايفانغيلوس بايراكتاريس.

في الثانية عشرة من عمره، ذهب سرّاً إلى الجبل المقدّس.

توحّد في الرابعة عشرة من عمره .سامَه كاهناً وهو في العشرين من عمره

رئيس أساقفة سيناء برفيريريوس الثالث وقد أعطاه اسمه عام ١٩٢٦.

رقد على رجاء القيامة صباح الثاني من كانون الأول١٩٩١.